وزارة الثقافة



الهيئة العامة لقصور الثقافة

أصوات أدبية

٥٨

لحظات في زمن التيه

مجموعة قصصية

السيد نجم

أول أبريل ١٩٩٤

المراسلات : باسم مدير التحرير على العنوان التالى
١٦ شارع امين سامى - القصر العينى - القاهرة - رقم بريدى ١١٥٦١

أصوات أدبية

سلسلة نصف شهرية

تصدرها الهيئة العامة لقصور الثقافة

رئيس مجلس الإدارة
ورئيس التحرير

حسين مهران

نائب رئيس التحرير

على أبو شادى

المستشار الفنى

محمد بغدادى

مدير التحرير

محمد كشيك

مدير التحرير التنفيذى

أحمد عبد الرازق أبو العلا

الغلاف للفنان كمال عبده

إهـــــداء ..

.. إلى من تتحمل صمتى وثرثرتى ،
زوجتى .. عـزة ..

.. إلى ثمارات أيامى وأفراحى ،
ابنتاى ... مى وبسمة .

« قصــص »

دوائر الحراسة

(١)

... « إياك تجرى فى الشارع » ..

تقولها أمى دائماً وهى ترصدنى من عند باب حجرتنا ، تسد علىَّ فرجته الضيقة . تقضى أكثر من نصف ساعات اليوم .. من ليل أو نهار داخل فراغ حلقه الخشبى .. باب الجنة بالنسبة لى ، إذا نجحت وغافلتها .. انفلت من بين جفونها .

كنت أنتهز فرصة أول إغفاءة فى عينيها وأول شردة ، لأعود مهرولاً إلى الشارع الواسع أمام باب منزلنا القديم ، فلا تلحقنى ، لا تجد أمامها إلا تلك الكلمات التى تنطقها سريعة مُضغمة ليتلعثم لسانها ولا أحد يفسر مفرداتها غيرى .

لا أنسى يوم ضقت منها ومن أمى التى أخفت ساقيها تحت ردفيها ، أمامها الحلة الألومنيوم المنبعجة ذات الثقوب والممتلئة بالأرز الذى فقد بياضه ، واصطبغ بلون خلطة المحشى وعبأ خياشيمى برائحة الطزاجة . تأكد لى أنها لم تغف ولن تشرد ، أراها تملأ حفانا من الخلطة ، بحنكة ترصه على ورقة المحشى فلا تزيد عليه ولا تنقص منه ، تبرمها فى هدوء وثقة دون أن تُشغل عينيها بما فى يدها ولا تسقطها عنى .

تظل معلقة بى مبحلقة إلىّ ، وأنا فاقد لوسيلة أتسلل بها من بين حدود حجرتنا الضيقة ، لا حيلة أمامى إلا أن ألقى بنفسى من فوق السرير المرتفع وحتى ارتطمت شفتى العليا بالأرض .

ولولت أمى ، القمت الجرح الغائر بمطحون البن فوراً . التأم الجرح ، ترك بثورا ناتئة ، لم ينبت فيها شعر لشاربى الأسود الذى أهذبه كل صباح ، وأحرص على بعثرة شعرات قليلة منه فوق الجزء المشوه ، علنى أخفيه .. هيهات !

(٢)

.... « أحذرك من نيسان الواجب » ..

نطقها مدرس الحساب الذى أخاله شبحاً فظاً وأيضاً عبقرياً من فرط مخافته وقسوته وقدرته على فك طلاسم تلك الرموز والأرقام التى تبدو لى عسرة الفهم دوماً .

بحلقتى للرجل أثناء الدرس باهتمام وشغف يغريه أن يسألنى ، اعتقاداً منه أننى فاهم ما يثرثر به ، يخيب ظنه ويتأكد له غبائى .

الشىء المؤكد الذى لا يعلمه ، أننى أتابع حركته الرشيقة وعينيه اللامعتين ولسانه الذى يلوك بلا تأتأة وبغير تلعثم ، يبدو لى وقد حطمت جمجمته ، سطوت على جزء من أمفوخه ، ربما أجيد فك رموز شفرة ما ينطق به .

لا تعجزه الحيلة أن يجعلنى مشغولاً به حتى بعد أن أترك حجرة الدرس ، آخر كلماته يوجهها إلىَّ ، أنا بالذات القاطن فى الركن البعيد ، يحذرنى من نسيان حل تمارين الواجب المنزلى .

بمضى الوقت تأكد لى صعوبة فهم لغة الأرقام ، وأرسب ، يوم إعلان النتيجة يضربنى أبى ولا أبكى حتى يمل الرجل من ضرب غير مجد .

بقيت الأرقام لعنة تلاحقنى . كلما حاسبنى بائع .. سرعان ما يكتشف أننى لا أجيد حساب الأرقام ، بالرغم فرط ابتساماتى له ... لهما .. لهم ، يغاقلنى . فى الليل لا تبرحنى الأرقام ، تؤرقنى ، أعيد حساباتها ، وما فعله الباعة معى ، تلهينى ورقة وقلم ، أخط اسم مدرس الحساب ، كل مُعلمى الحساب .. ثم أمزقها !!

(٣)

... « أوعى أشوفك معاها » ..

عندما قالتها « سلوى » لأول مرة فرحت .. حبيبتى تغار علىَّ ، تخشى أن أحادث غيرها من زميلات الكلية ، فأتعلق بإحداهن .. « هل تغارين ياحلوة ؟! » .. لا ترد ، تكتفى بإيماءة صامتة عنيدة .

إن عدت وقد ضبطتنى أحادثهن ، تقولها .. « أوعى

أشوفك » .. تتابع بحركة من يدها .. تقبض على إصبعها الوسطى بالابهام ، وترشقنى بإصبعها السبابة .

بمضى الوقت لم تعد تنطق غير كلمة واحدة ، تُبحلق فى عينى وتنطقها .. « أوعى ... » !

حاصرتنى ، طوقتنى ، فأغرقتنى فى أشيائها الصغيرة ، كأنها تعاتبنى لأننى لم أنتبه للبروش الجديد الذى علقته على صدرها .

لما انفعلت ونادراً ما أفعل لم تتنازل عما فى رأسها ، فقط أشارت إلىّ صامتة وإلى البروش ، اكتشفت أنها زينته بالحرف الأول من اسمى .. اعتذرت !

كثر عتابها واعتذارى من بعد .. بمضى الوقت كفت عن عتابى فسعدت ، أسوأ ما يفعله إنسان أن يعتذر لمن يُحب !

لم يطل الحال كثيراً ، فقد حضرت يوم إعلان النتيجة آخر العام ، وقد علقت فى إصبعها الإبهام دبلة ذهبية لامعة ، ربما علقتها بالأمس ، فقلت : « مبروك ... » !! لم ترد معاتبة ولم أعتذر .

لم يلهينى إلا سيجارة ، أشعلتها فى ركن قصى بالكلية .. مضغتها ، التهمتها فى صمت وحدى .. علبة سجائر كاملة !!!

(٤)

...... « لا تتأخر » ..

تقولها زوجتى كلما جاوزت ميعاد عودتى بعد الظهر .. وإن خرجت مساء أراها عينين مبحلقتين بلا جفون ، دائرية كعينى النمر ، أعلى النابين .. يعلون قدماً مفرطحاً طويلاً ، فابتسم ويزداد هياجها . منذ فترة اكتشفت لعبة جديدة .. أن تكف أذنى عن العمل بإرادتى ونجحت .. أوهم زوجتى بالاستماع إليها والانتباه ، وهو ما يسعدها ويسعدنى ، فلا أنا بسامع ما تقول ، بينما هى على حالها .

من جديد الت بى حالة خاصة ، لا أعرف كنهها ، أن يستسلم جسدى للنوم ، وجدته يستكين هامداً فور غروب الشمس إلى ما بعد الضحى من اليوم التالى ، فكانت مقولة رئيسى فى العمل .. « لا تتأخر » ، وإن زاد عليها .. « وإلا .. ! » ، لأننى موظف ميرى قديم ، خبرت من أسرار قوانين العاملين فى الدولة الكثير ، أكتفى بهزهزة كتفى صامتاً ، فينفعل أكثر .

طال انتظار الرجل ، لم تنصلح أحوالى ، نصحنى باستخدام سيارة أجرة فى الصباح ، أضحك معترضاً .. « لن تحل مشكلة الكون بحضورى ، لن تكف الشمس عن دورانها لو لم أحضر ياريس ! ». أكدت له أن راتبى لا يحتمل ستين جنيهاً للذهاب إلى

العمل ، لكن يبدو أننى فقدت المبلغ نفسه خصماً من راتبى عقاباً لى .

ولأنى لا أجيد الحساب ولا أحب الاعتذار ، وزوجتى التى لم تصدقنى .. اكتفيت بالصمت ، فتمنت لو عادت الأيام لتعاتبنى ونتشاجر .. لأيام مضت ولن تعود !!!

(٥)

... « ممنوع التدخين وأكل السمين والمسبك والحريف ... وشرب القهوة ... » .. فراقص الدوار رأسى ، رأيت الأشياء البيضاء مزدوجة والأبيض لون بلا معنى .. سمعت صوت أنفاسى اللاهثة المرتعدة .. وقد زاد لهاثى من فرط بسمة الطبيب المعلقة على صدغيه المكتنزتين شحماً ولحماً .. الذى أكد : « يجب أن تستريح » ما فهمت ، لم يمهلنى حتى أسأله : « كيف ؟ » ..

داخل غرفته الضيقة التى ذكرتنى بحجرتنا القديمة ، سحبنى من يدى ، سلمنى إلى فرجة الباب التى بالكاد انسللت منها إلى حيث إعلانات شركات الأدوية المدلاة على حوائط القاعة الأكثر اتساعاً .

أمام باب العيادة .مزقت تذكرة الدواء ، عند المقهى المكتظة بالرواد جلست إلى أقرب منضدة ، بجوار أحدهم لا

أعرفه ، حدق فىَّ بإلحاح ، ربما يسبنى ، بحركة بطيئة أحكمت زرار قميصى العلوى وتحسست قفاى . افتعلت الانشغال بالجريدة المسائية وبالندبة المعلقة بين شعيرات شاربى وقد كشفتها ! مازال الآخر يختلس النظرات بإصرار غريب ، ربما يخالنى مجنوناً ، قلت له أننى عاقل .. لم يبد انفعالاً ، أردت مشاركته فيما أنا فيه .. سألته : « هل حقاً ما قاله الطبيب لى ؟! » ..

لم يرد ، اكتفى بمزيد من البحلقة فتلاشت الكلمات من فوق طرف لسانى وبادلته البحلقة ...

تابع ابتلاع آخر رشفة من فنجانه ، نهض ، غرب وهو يُخفى ابتسامة خبيثة فشعرت بآلام جديدة فى أسنانى .. فى نابى الفم بالتحديد ؟!

ذات صباح عادى

لا يدرى ما دفعه بالضبط بعد انقضاء تلك الليلة ... لأن يفكر فى عدم الخروج من البيت ، وألا يبرح مرقده .

همَّ بالخطو البطىء المعلق بصوت جرجرة الشبشب البلاستيك ، رتيباً ممدوداً وكأنه لا يرفع قدميه عن الأرض ، ألقى نظرة بليدة شاردة من خلفه ، الأخيرة إلى مرقده العريض الذى يبتلع فراغ غرفته الضيقة . مع ذلك أقسم بأغلظ الأيمان لن يبيعه ليشترى آخر أصغر منه ، ولأنه يعجز عن الحصول على عتبة جديدة بها غرفة نوم واسعة وبرحة ، أقسم أيضاً أنه لن يحنث مهما حدث !

سريره النحاسى ذو الأعمدة والناموسية هذا .. ثروة لا تقدر بمال .. ورثه عن أمه مع وصيتها اليتيمة : « لا تُفرط فى السرير إن جعت أو عطشت ! » .. يعلم أنه بقايا ميراثها عن أبيها .. الرجل الثرى ، الذى كان كذلك، لولا البورصة والكيف .. عزاؤها لابنها قبل أن يُعجزها المرض : « من يدرى ياولدى ، ربما فى ثروة جدك لقمة حرام ، أو ربما فى فقرنا ستراً من بلاء لا ندريه !! » ..

يطأطىء الرأس موافقاً ، مُعلناً عن موافقة لا يعنيها ، ويعقد العزم على تنفيذ وصيتها مهما حدث .

بمضى الأيام يدهش لافاعيل السرير معه .. فقد قبلته زوجته وهو الدميم ثقيل الدم كما يُلقبه الصبايا من الجيران ، وهى الجميلة الصغيرة ، وتؤكد أنه يكفيها حبه لها ومرقد يجمعهما آخر الليل ، فيغمز لها فى ثقة ويتابع : « وأول الليل وفى الأيلولة .. وفى كل حين » ، تفهم فتحتقن أذناها وتومىء .

بقى السرير نفسه مفتاحا ساحراً لدنيا خفية ما كان يعلمها .. عليه ضاجع أنثاه ، وولدت له ، وضرب رئيسه أكثر من مرة ، يؤكد أنه فوقه ينال كل حقوقه المسلوبة من رأسه ، ويأكل كل ما تشتهيه نفسه .. فعرف طعم الحلو كله ، مذاق الكريز والفندام .. و .. ومخاصى الثيران ..

تنتابه سعادة غامرة كلما تأمل سريره ، فقرر أن يُحسن رعاية زرعة الصبار فوق رأس أمه ، ويدهش من دوام اخضرار أوراقها بالرغم من كل شىء ، وبالرغم من الشيبة التى غزت شعيرات شاربه الصغير المدلدل فى خطين متوازين أسفل فتحتى منخاره .

فور زواجه من الجميلة لفت انتباهه أن من يخطو لخطوة واحدة عتبة باب الشقة ، حتما سيلتقط ما بين جدرانها المستقيمة الوطئة .. وتنكشف للغريب فلقتى الشعر الناعم المنساب فوق كتفيها ، وبريق ندى لشق النهر العميق بين ضرعيها ، وأيضاً انسياب نعومة ساقيها . فما كان منه إلا تركيب ألواح خشبية

غير مهذبة ، علقها بين الحوائط كلها .. إلا غرفة نومه ..
تخير الرجل موقع الغرفة بعناية وحكمة منذ اللحظة الأولى ..
فهى الوحيدة الملقاة بعيداً عن باحة الشقة من خلال ممر
طويل .. طويل .. وإن بدى معتماً ضيقاً ورطباً أيضاً .

وبقيت غرفته تلك المنفذ الوحيد بموقعها على الجبهة اليتيمة
المطلة على عالم الناس والحارة ، وإن تصادف أنها تقع ما بين
الجهة البحرية والشرقية ، فكان لها ميزة الإطلالة على الشمس
الساطعة طوال ساعات النهار ... والارتواء بالهواء العليل ليلا ،
خصوصاً أن صاحب البيت لم يكن بغافل عن صنيعه ، فشيد
بلكونة بعرض إحدى الحوائط ، ولم يجعلها عريضة فحسب بل
جعلها ممدودة إلى خواء الحارة المباح ، ثم حمد الله كثيراً أن
صاحب البيت المقابل لم يتشبه به ، وإلا حتماً لتزاورا من
خلالهما ..! ولا يهمد عن ترديد ما يظنه الحق .. سواء مع زملاء
العمل أو جيرانه فى جلسة المساء ، ثم أخيراً ربما مع جماعة
المصلين .. صلاة الفجر تحديداً دون غيره لأنه بداية اليوم ، فهو
يردد الحكمة .. أن ربنا رب قلوب !! » ..

مع كل هؤلاء يقول : إن صاحب البيت هو .. هو المهندس
الذى خطط ، والمقاول الذى نفذ ، وربما أيضاً كان ضمن عمال
الطبلية ، ومن رصاصى المونة مع الطوب الأحمر بالذات .

أما كيف نجح فى الحصول عليه ، فلها قصص تروى فى تؤدة ؟! ، حفظها عن المقاول ، ولأنه اعترض عليه فى حينه مسفهاً مزيا الطوب الأحمر الذى بالتأكيد عجز أمام صراخ صبية الحارة ، رفض المقاول ذو الصوت الأجش الجلوس إليه ثانية .

لكنه فى هذا الصباح .. الصباح الذى لا ينساه ما بقى يتنفس ، ودامت بين تلافيف مخه الذكرى .. هذا الصباح بالذات فضل الجلوس باكراً أسفل النافذة الخفيضة المشيدة بالأسياخ الحديدية الصدئة بجدران صالة شقته والمطلة على روائح جيرانه العفنة !

... ولما رمقته زوجته مفتعلة الانشغال فى أعمال المنزل البكرية ، تمتمت : « اللهم اجعله أى حاجة إلا الصمت » .. تزوم وتعاود تحركاتها الآلية .

اعتادت خلال السنين الفائتة أن تراه على حال عاداته وطباعه الغامضة فلا تتململ . يحدثها البعض بدهشة ضاحكة فى أن ألوان ملابس زوجها دائماً ناصعة .. أسود حالك ، أحمر قان ، أصفر فاقع ، أخضر ناضر ، وأيضاً أبيض ناصع !!، فلا تعقب ..

أما ما تعرفه ولا يعرفه غيرها ، ذاك الوشم الأخضر فوق

صدره ، رسمه صبياً ولم تنزعه الأيام .. لأبو زيد الهلالى يمتطى جواده شاهراً سيفه ، وإن تضاءلت خفية تحت شعراته الغزيرة ، وإن تسلل الشيب إلى بعضها فمازالت قادرة على أن تريح رأسها فوق كتفه العارى وتمر بعقله سبابتها حتى عينى وسيف أبوزيد نفسه !

ما كانت نمنمات أصبعها تلك إلا دعوة للمقاتلة .. قادرة هى إذن على مبارزته وقتما تشاء ، ولم تخذلها سبابتها أبداً ولا أبو زيد أيضاً .

كان ما كان إلا ليلة الأمس ، فشلت فى مبارزته وفشل .

بدى لها زوجها وهى تلح البحلقة نحوه ، أن فكرة ما تراود رأس الرجل ، تأكدت وهى تتابع خطواته الأخيرة نحو المقعد الخيرزان أسفل نافذة الصالة المطلة على مسقط البيت .. ذاك المقعد بالذات ، الأجرب المكسو بخربشات جلسات طالت من قبل .

اكتفى هذا الصباح بالبحلقة والصمت ، كم كان يدهشها أقاصيصه التى بلا نهاية . عن هولاكو والاسكندر ، عن هارون الرشيد وطومنباى ، وحتى عن نابليون ومحمد على .. ثم عن الحاج صادق الدرغامى .. جده لأمه !!

ماأكثر ما يعرفه عن كل هؤلاء ، لكنها لا تعرف مدى صدق ما

يقول سواء عن جده الأكبر أو الاسكندر الأكبر !

تابعته يضرب مسند المقعد بكفه ، لكنها تعلم أنه قال ذات مرة : « لم تدعنى الأيام أن استبدله بآخر » .... فلم تقلق وإن قررت : « يجب عليَّ أن أقرر ما يجب إنجازه وحدى » ..

إلا أنه نطق على حين غفلة منها ، فانتفضت باضطراب تسمعه :

« قالت أمى ذات ليلة عن الأحلام أن رأى الحى مع الميت ودخل معه دار مجهولة فهو ميت ويلحق به » .

استدارت له وطلبت أن يقص الرؤيا فإن روايتها تفسدها . تابع بجدية قائلاً :

« رأيت أمى ، ودخلنا معاً لمكان لا أعرفه . تركتنى واختفت فبحثت عنها طويلاً .. وأنا أبكى .. ولم أجدها حتى استيقظت على صوتك » ..

بنظراتها الصامتة المعتادة أفهمته أنه كان يصرخ فأشفقت عليه وأيقظته .. حاولت أن تطمئنه ، اعترضت بقولها :

« الأخذ من الميت مستحب على كل حال ، ألم تأخذ شيئاً من أمك » ؟

.... « لم يحدث !! » ..

عاودت محاولة تأويل الرؤيا :

« إن رأيت ميتاً عانقك أو خالطك أو قبلك فإن عمرك يطول » ..

..... « لم يحدث !! » وصمت أيضاً .

لكزته أن يراجع نفسه ، اكتفى بالبحلقة الشاردة ثم عاود تأمل خربشات الجلسات السابقة فوق مسند المقعد الخيزران الأجرب ، ولسان حاله يقول :

« لم تدعن الأيام أن استبدله بآخر ، لم تراودنى الفكرة بالرغم من السنوات الطويلة التى قضيناها معاً حتى تهالك وبدا مقززاً !! » .

وعندما تركته زوجته وعاودت الانشغال بأعمال المنزل البكرية ، دُهشت ورأسها تقول لها .... أما أنا فلم تراودنى الفكرة إلا هذا الصباح ؟!!!

الصديـق

كنت منذ نصف الساعة فى وداع صديقى الميت ..

لم يكن ككل الأصدقاء .. ذا جاه ومال أو شهادة علمية ، ضحوكا .. فكها أو باسم الثغر ، وسيما .. وقورا أو حسن الهندام . لم يكن كما الأصدقاء جميعاً سديد الرأى ، حكيما ولم يبد وجهة نظر أبداً .

لم يكن صدقى هذا يستمع إلى حكاياتى فى دعة وصمت . يقاطعنى ليتحدث عن القطط المقتولة فى شوارع القاهرة ، وعن مشهد اغتنام قط لفأر مسكين سقط بين قبضتيه ، دائما يفيض فى وصف مذلة الفأر قبل اقتناصه .

لم يكن ذلك الذى رافقنى كظلى يسعنفى وقت الشدائد ، ودائماً أخشى أن تصدر عنه فعلة غير متوقع تثقل كاهلى . كما فعل يوم تشاجرت فى الأتوبيس ، فنهض السائق يفك الخناقة ليجلس هو خلف عجلة القيادة التى لم يتركها حتى بعد أن ضربه السائق ونزف من منخاريه .

لم يكن توأم أيامى ذاك يشرفنى إذا صحبته معى لمحفل عام .. ينزوى بعيداً ، لا أكثر من عينين بصاصتين فى صمت ، حتى إذا ما احتدمت المناقشة وانفلتت الكلمات منى منفعلا ومتفاعلا مع محدثى ، أجده يقتحم مجلسنا لاعنا أجدادهم

ويأمرنى بالخروج . أعترضه وأنهره وأسخف به الأرض فيغشى عليه ، لتنقلب ثورتهم وثورتى شفقه عليه ورحمة وينسون سبابه ، لأبقى لفترة طويلة معتذراً عنه ، ثم أسرع العدو محتقن الأذنين والعينين .

وكان رفيق الصبا والشباب بهوميا فى مأكله ومشربه وفى عشقه ، فأغف تناول طعامى فى حضوره ، ولا أدعوه لتناول مشروب فى مكان عام ، لكنه عمداً لا يعفى أذنى من أقاصيص الهوى ومضاجعة العجائز الدردبيس ومغامراته التى بلا نهاية مع اللاتى يقتنصهن بعينيه فينهرن صرعى تحت قدميه ، وما أن يهم بملامستهن بأطرافه حتى ينشق النهر إلى فرعين وتشيد السدود وتمتلىء الفراغات بمياه عطرة من ضروع شرايينه .

لكننى أعترف أنه فى أيامه الأخيرة . كان صموتاً ، يغض البصر ، إذا ما ارتمى ظل أنثى وعف بنا . فأرفع عينى رأسى وكل حواسى التقط انسياب المرأة التؤات حدود جسدها الطلى الرجراجة ، ثم انتبه إلا بعد أن أخبره : « لقد ذهبت .. انتهب » ، فيتعلق بذراعى القريبة وبعين الشمس فى السماء البعيدة .

ادهش ، أسأله ساخراً عما ألم به .. فلا يعقب !

وأنا ألقى النظرة الأخيرة على جبهته على جسده المفرفر ،

خلته يفرج جفونه ويرمينى بغمزة غامضة أهاجت كل ما أعرفه عن خبثه ودهائه وحيلاته الغريبة ، فأقسم للناس أنه لم يمت .

لا أدرى ما حدث من بعد ، حتى وجدتنى عائداً إلى شقتى وحدى وقد أفهمونى أننى ودعته إلى مثواه الأخير .

جلست على المقعد الفوتيه ، زفرت زفرة طويلة عميقة ، أشعلت سيجارة ، همهمت لرأسى :

« أشعر الآن أنه كان صديقى الوحيد » .

العتمة

بالرغم من أنه أشرف على الانتهاء من طقوسه الصباحية ، بقيت جفونه مرتخية وغلالة رقيقة خبيثة فوق عينيه تحيل رؤية زوجته وحجرة نومه والصورة الوحيدة المعلقة للموناليزا وكذا جدران شقته وسقفها إلى أشياء منبعجة ، ممطوطة ، مضحكة فى نهاية الأمر ، كلها أيضا فى جعبة عتمة غائمة لا يدرى لها سببا .

صاح على زوجته وهو يحك جفونه المغمضة ، يدعكها جيدا . تقدمت الزوجة هرولة مستفسرة ، ولما لم تسمع إجابة شافية غضبت ظنا منها أنه عامداً متعمداً لا ينظر إليها . حاول أن يشرح لها ، قال إن شعوره بالعتمة هذا الصباح جد غريب قاس ، من قبل انتابته بعض الأعراض متفرقة منثورة وكان ينجح فى مواجهتها ، كأن يستيقظ على فمه المفتوح مرسوماً على تثاؤبه ، فيسرع بوضع رأسه تحت الرشاش البارد .. ويفيق . كأن ينتبه على مشهده فى المرآة صباحا وقد تهدلت عضلات وجهه فتبدو سحنته وكأنها زخات من اللحم الشائخ فيدلكها بالمنشفة حتى تعود الحياة إليها .

أما أن تجتمع كل تلك الأعراض مرة واحدة ، كمن ألقى به من الأجرام البعيدة ، هذا ما جعله عصبيا وجعل الزوجة الصغير قلقة .. حتى قالت له :

« لكن ، ترى لماذا اليوم بالذات غير الأيام الفائتة ؟! » .

« تقصدين اجتماع كل تلك الأعراض » .

كورت شفتيها ونفت ، ثم تابعت :

« كنت تشكو من أعراض فيك أنت . اليوم تراها عليَّ وعلى شقتنا ـ حصن حبنا ـ » .

شعر الزوج ـ وكأنه أمام فتوحات زوجية لم يفتح الله عليه وعلى زوجته بها من قبل . لم يجد ما يجيب به .. فصمت .

« ربما بعد احتساء فنجان القهوة ، والتهام سيجارة الصباح ، وانشغالى فى العمل ستكون عودتى بعد الظهيرة أفضل » .

قالها الرجل وقد عزم على الخروج ، نجح فى اجتياز الباب ، تاركا خلفه صوت ارتطامه بالأشياء المنثورة بين طرقات الشقة والباب المغلق ، فتحسس المزلاج ، فتحه واندفع فى حرص غريزى إلى الشارع .

سمعها وهى معتلية السور الحديدى للدرج ، تقول :

ـــ « لاتدع أيام أمشير تخدعك ، عد وارتد الملابس الثقيلة الصوفية » .

* * * *

عندما استقبل ضوء الشمس فى الشارع المزدحم . شعر بانتفاخ أوداجه فهلل وكبر سعيداً برؤيتها .

شعر الرجل بالأشياء من حوله ومن فوقه وتحته فانتبه . الناس .. المندفعة المهرولة ، لم يستوقفهم صوته الزاعق ، فقط القوا نظرة محايدة صامتة بليدة وتابعوا . السيارات .. بنعيرها وخوارها لم يقف سائقوها .

أما أتربة أمشيرة المندفعة من تحت إلى فوق ، ومن فوق إلى تحت لم تهمد .. فأغمض عينيه جبراً . سمس إلى أذنيه :

« فى العام الماضى نصحنى الطبيب أن يواجه أمشير بغمضة طويلة وأنا أعبر الشارع وأسير فى الطرقات وحتى أدخل إلى الأماكن المغلقة » .

تابع : « هو الحل إذن ! » .

بدأ فى تنفيذ فكرته مستعينا بسيارة أجرة تقوده إلى مكان عمله .

* * * *

سائق السيارة طلب منه مبلغاً كبيراً جداً . سأله عن السبب ، تشاجرا . كان يعتقد أنه يتعامل مع تلك السيارات مقابل مبلغ يحدده عداد يدق كل بضعة أمتار ، فيدق قلبه معه ومع تلك المعاناة طيلة المشوار فوجىء بالسائق يصرخ قائلاً :

« إن المبلغ الذى أطلبه منك ليس كبيراً ، إنه مقابل أن عفوت عنك ولم أتركك بين طيات غدر أمشير .. ومقابل رؤية سحنتك الغريبة تلك ، بل ورائحتك العفنة فى داخل سيارتى » ..

.. أيضاً لأنى سحبتك من يدك ودخلت بك حتى باب غرفتك فى عملك ها هنا .. والوقت عندى عداد يعمل .. ألست معى ؟!!

الرجل لم يكن منتبها إلى تفاصيل ما سرده السائق ظنا منه أنه تلك الحركة الغريبة للأرض من تحتهما وللأشياء التى تموج وتهتز من حولهما حتما ستجعله يكف عن الصراخ . وتدعه يرجو النجاة .

فتمتم :

« لحظتها لن يحصل على شىء ، وقتها سيكون وقت فراق بيننا ولافكاك سيكون الآنى الخالص » .

السائق لم يمهله كثيراً قبل أن يضربه فقط قال له : « عليك مقتى وغضبى »

ثانية خاطب أذنيه :

لولا العتمة التى تصيبنى فى الأماكن المغلقة لكنت تعلقت فى رقبته »

أشعل سيجارة وجلس على الأرض .

* * * *

ولما التفت الزملاء وانتبهوا ، كان الرجل يلملم أشياء لم تسقط منه على الأرض .

يعسعس عليها بين أتربة أمشير الندفعة من النوافذ المفتوحة طيلة ليلة الأمس وصباح اليوم والتى لم يرفعها عامل النظافة بعد ، لعله لن يفعل ، فهو القائل :

« لماذا .. وأمشير ليس له أمان ؟ » .

تجددت مشاجرة أخرى ، بين الموظفين وعامل النظافة ، بين الرجل ورأسه ، رأسه التى امتلأت بأسئلة عديدة حائرة عن تلك الحالة الغريبة التى انتابته فى صباح هذا اليوم الأمشيرى المباغت .. وفى أمشير الماضى وكل أمشير !!

* * * *

القبضـــة

كنت أولى وجهى شطر ذيل جلباب جدى الأبيض فى مشاويره البعيدة ، المتكررة ، الغامضة ، وأحوم حوله فى الأسواق وفى مجلسه المعتاد بجوار باب محل مكوجى حارتنا ..

جدى يجلس على الدكة الخشبية ولا يجعل من الحائط خلفه مسنداً يرتكن عليه ، يفضل الجلوس على طرفها الأمامى مشدود الجذع والرقبة ، منتصب القامة ، مائل الذقن قليلاً للأمام وإلى أعلى .. ويظل على هيئته تلك لساعات طويلة . بسبب هيئته المهابة ولأسباب أخرى أجهلها أطلقوا عليه لقب الزعيم ..

كل صباح يلتف حوله الجيران ، يفترشون الأرض ، بالأمر يحتسون معه القرفة شتاء واليانسون صيفاً ، ارتضوا بنصيحته ووصفاته حتى انى وقتها لم أكن أفهم معنى همساته الزاعقة فى أذن أحدهم ـ لم يكن صوته الرخيم الفخيم خفيضاً مهما حاول ـ أن يعتزل زوجته حتى تسعى إليه نادمة . تجرأت وسألته معترضاً فضربنى برفق على رأسى ، وابتسم صامتاً ، أما السيدة البدينة التى تشكو له من ألم فى كل مفاصل جسدها قال لها :

« ودس من القرآن ما شئتم لما شئتم »

ودرس فى يدها حجايا . بعدها أدهشنى كثيراً أن رأيتها تتشاجر فى السوق القريبة .

أكثر ما كان يُغضبه منى أيامها أن يجدنى فى عربة الترام ـ وسيلته الوحيدة المفضلة للانتقال من مقامنا بالعباسية إلى أى مكان آخر ـ فى تلك المرة عبر عن غضبه منى غضباً شديداً ... ليس لأننى كنت أرتدى الجلباب الدمور المتسخ ، ولا لأننى لم أخبر أمى عن تلك الرحلة ، ولا حتى لأننى « أتشعبط » على الشمال كما يفعل جيرانى الأطفال ، لكنه غضب بسبب لم يُفصح عنه .. ولم أسأله بعد أن وصلنا إلى ميدان الحسين المكتظ بالأطفال ..

لم يكن غضب جدى سباباً ولعنات ، كان يُقطب جبهته ويقذف حاجبيه أمامه وبقدر شدة وليونة تقلص عضلات جبهته تكون درجة عضبته .

بالرغم من ذلك اشترى لى الطرطور ذا الشراشيب الذهبية وشرب معى العرقسوس المثلج ثم قبض على قفاى حتى يضمن الا افلت منه وسط الزحام .

لم أتمكن إلا من التقاط ما تسمح به سعة الرؤية لعينى .. الملتصقة فى رأسى ... المصلوبة فى كف جدى .. قبضته القوية ، وبقدر ما أتابع استمتع بمرح الأطفال وهم يتسلقون المرجيحة الدائرية ـ الساقية ـ وهم يلعبون الاستغماية ، ظل جدى يدفعنى عنوة من قفاى ، حتى عبرنا بوابة صخرية وطئه ،

سلمتنا إلى ممر مظلم رطب ممتد ، النسمة الطرية هونت كثيراً علىَّ وعليه من لفحة حرارة الشمس فى الخارج ، ظننته يزور مقابر أجداده ، فعلها ذات مرة ، حتى سمعت بوضوح أصواتاً بعيدة غامضة .

مللت المشوار ، تلبسنى شعور غامض ، تذكرت دعاء جدى لمريدية وفهمته .. كان يقول له :

« ربنا يسلم طريقك ، ربنا يكفيك شر المستخبى »

التصقت بفخذ جدى القريبة ، كل أملى أن نصل إلى نهاية الممر حيث الضوء القريب ، لا يهم !!

وصلنا ، استقبلتنا ساحة واسعة ، تعلوها قبة مقعرة مكسوة بالعنكبوت ، مثقوبة بثقوب خفية دائرية ومغطاة بزجاج معشق مطلى بالأزرق والأحمر والأخضر والأصفر ، فترسل أشعة شمس غير التى أعرف ، لون شعاعها لا يوصف ، شعرت بالرهبة فتعلقت بفخذ جدى أكثر ، الرجل انتبه لى ، ضمنى أمامه ، فأغرقت وجهى فى لحم بطنه ، لا أدرى بالدقة كم انقضى من الوقت وكلانا يسير هكذا .. جدى يتقدم بخطواته القصيرة المتهلكة وأنا أسير للخلف بخطوات ثقيلة مرتجفة .. شعرت بكفيه تدفعانى برفق من أعلى كتفى ومن حول قفاى حتى أسقطنى إلى الأرض .

ماأن أفرجت جفونى حتى شعرت بالدوار ، حملقت فيمن حولى ، كأنى فى دنيا أخرى ، رجل شديد البياض ، أكثر من بياض جلباب جدى كان جلبابه وقدماه وسحنته والغلالة الرقيقة على رأسه ، أناس من حوله يرتدون الشتى ، جميعهم يقبلون يده ويلتقمون أطراف جلبابه ولا يكفون ترديد .. « الله ، الله ، الله » ..

انتبهت لجدى ، وجدته يحنى ظهره ، يلوى رقبته فتسقط رأسه وذقنه إلى أسفل ، لحظات وشعرت بعدها أن جدى مثلهم .. مثل من يلتفون حوله وحول الرجل شديد البياض شعرت أن جدى لم يعد زعيماً !!

ولما هانت قبضة جدى من حول قفاى وانفرجت أصابع كفه ثم ترك قفاى وغاب عنى ...

قلت له ، فصمت ، عبرت عن رغبتى فى التبول ، لم يرد ولم اصبر كثيراً ..

بعدها شعرت بلذة عظيمة أن أفرجت عن بولى ، وأرحت تقلصات مثانتى ، بتجاهلهم لى وعدوى بعيداً عنهم ، للعبى مع الأطفال ومع لفحة الشمس فى الخارج ..

وللأهم من هذا كله ليتحرر قفاى من قبضة كف جدى الخشنة الغليظة لا أتذكر متى وكيف وجدنى جدى وأعادنى

عنوة إلى منزلنا .. لكنى ماعدت أحوم حوله فى الأسواق ولا فى مجلسه المعتاد بجوار محل مكوجى حارتنا ، يشرب معهم القرفة شتاء والينسون صيفاً ، ويقدم لهم النصيحة ووصفاته الهامسة !!!

القبـــض

لأننى وديع وداعة خنزير يتأمل أنثاه يمتطيها ذكر .. خنزير مثلى ، قررت أن أمتطى أول أنثى تقابلنى فور اجتيازى بوابة السجن العتيق ..

شغلتنى الفكرة طيلة ساعات الليل ، بأغتتنى كف قوية لذلك الجلف المتثائب الكريه الرائحة ، حارس النوبة المسائية .. دُهشت لأنى لم أسمع أزيز بوابة زنزانتى المظلمة .. الرجل أحاطنى بعناية خاصة وإن لم يتكلم كثيراً .

حرك شفتيه قائلاً :

« سوف ترتاح من همك هذا الصباح »

لم أفرح كثيراً ، ربما فى آخر لحظة يعكسون قرارهم ويحرمونى من أحضان أنثى أضمها بشدة ، أكفر على كتفيها عن آثامى التى مازلت أظن أننى لم أقترفها .. لم أقتله !

عندما قابلنى فى الظلمة وسط الطريق الجانبى الساكن ، طلب منى أن أخلع حذائى حتى أنتهى من اجتياز الشارع ، حاولت سماع تفسيره ، لم ينطق ولم أنفذ ، كأنى خيبت ظنه ، سرقت حلمه ، انداح فى ظلى ، التصق بلحمى حتى شككت فى رجولته .. لم ينزاح عن أنفى ، فقط قال : « ولو ... » ..

شعرت بشيء من النجاح ، أن جعلته يتريث فى الأمر ، بقى أن يعرف قدرى ، هالنى فقدان بطاقتى العائلية .. هويتى وسندى الرسمى ، لم يتملكنى اليأس ، بهدوء الوديع الواثق خاطبته :

« أرجو أن تهدأ ، وتقص علىَّ ما يشغلك ، لعلنى أنجح فى اقناعك » ..

لم يدعنى أتابع ، صرخ فى وجهى مكرراً : « ولو .... » .

وإن زاد هذه المرة بكلمة واحدة : « سأقتلك » ..

لمحت بريقاً غامضاً لشيء ما فى يده ، أحسست بنصل حاد .. تقهقرت ، اندغمت تحت جلدى ، وقلت :

« لا تتسرع .. لا تقتلنى » ..

لم أكن أدرى أننى قوى إلى هذا الحد ، الحد الذى تملكنى فيه غل شياطين الكون كله . نجحت ، نزعت السكين من كفه ، عثرت على قبضتها الخشنة ، و ... وتضاءل البريق ، اختفى الهوينى كلما زجحت بالسكين أكثر فى أحشاء بطنه الرخوة .

* * * *

ولأننى ذكى ذكاء ذئب قبل لحظة انقضاض لم تحن ، قررت أن أظل مغمض العينين خلال خطواتى الأخيرة لمراسم الإفراج عنى ، حتى إذا ما عبرت البوابة أنظر فأرى ويكون قرارى .

مكثت كثيراً بحجرة مكتب أمانات السجن . لدهشتى ألقوا

بين ذراعى ملابس صيفية ، فقد دخلت بها السجن صيفاً ونحن الآن فى منتصف طوبة ، كما أعطونى ديواناً لشاعر لم أعد أتذكره ... ربما يكون من مشاهير الدنيا الآن .

البرد يُلبسنى العجز ، لمح الحراس نتوءات وليدة على جلدى المرتعش ، وقد بدى مقدداً مجعداً جافاً . قالوا :

« اشتر هذا المعطف الميرى البالى مقابل مصروفك المدخر ياسجين » .

وافقتهم ، اندفعت من بين الجدران الرطبة اللزجة ، ودفء كاذب استشعره فور اجتيازى البوابة السوداء الصدئة ..

« ... حالاً ستكون لى أنثى ، أول أنثى أقابلها .. أمتطى نعومة جلدها ، أغوص فى ليونة لحمها .. وألهث » ..

خطوت الخطوة ، تحفزت للحظة انفراج جفونى ، لرؤية الأنثى المنتظرة بسرعة لمح البصر أفرجتها ..

« يا ليتنى ما فعلت » ..

غامت الأشياء أمامى ومن حولى ، بريق غاص فى بؤرة عينى ، دعكتها وانتظرت ، بهدوء رفعت رأسى فكانت المفاجأة .. انثيان لا أنثى واحدة .. بائعة أحلام غجرية تعبث بسبابتها فى حبيبات الرمل .. هيفاء بغير نحافة ، لامعة البشرة ، سمراء وقد أحرقتها أشعة الشمس ، وفتاة بيضاء تجلس أمامها ، على استحياء

توشوش ذكور الودع وتبثها حرارة شفتيها المكتنزة ، ترتدى ملابس أفرنجية ونظارة شمسية ..

« .. أيهما اختار إذن ، أكثر ما يشعرنى بعجزى لحظة اختيار » ..

أما وقد قتل الرجل ، فشلت فى محضر الشرطة أن أبرر أسباب قتله ، وأننى كنت فى حالة دفاع عن النفس . فشلت ثانية مع المحقق فى سرد كل ما جرى ، وفى إثبات هويتى أخيراً .

لم أكن أدرى أننى وسيم جذاب ، ولست بحاجة إلى ذكائى بحيث ألفت نظر الأنثيين ، انشغلا بى ، ماعادا يتابعان همهما ، تقدمت بثبات نحوهما وأنا لا أدرى ماذا سيحدث حالاً .

* * * *

ولأننى - بالرغم من حبسى - رشيق ، خفيف الحركة كرقصات اخطبوط يتأهب للمقاتلة وربما للفرار ، قررت أن أتقدم وأخطو خطوات لا خيار لى معها . شغلنى الخلاء من حولى ومن أمامى إلا من طرقات غير ممهدة ، ممدودة بلا نهاية ، وأسوار السجن من خلفى عالية غير مبالية ، إن كنت خلفها وقد أصبحت أمامها .

وتقدمت ، سألتها ، أن تقرأ الغجرية طالعى ، أن تفسر الحسناء مقولتها .

قرات ، قالت : ـ

« ... ولكن الأمر الذى كنت أريد أن أحدثك عنه لم يعد ذا أهمية لأننى رأيت سحنتك » .

... لم أفهم . تابعت :

« ... لأننى قرات ما فى محجرى عينيك المدغمستين » ..

... لم أستفسر . تابعت :

« .. ولأننى طالعك » .

لاحقتها الحسناء ، قالت :

« ولأننى أعشق أيامى التالية وأعشق أحلامى » .

لم أتابع أكثر ، لعنت البرودة وأيام طوبة .. تحسست معطفى .. لم أجده .. دُهشت أن أسرق دون أن أدرى .

انزويت بجوار صخرة ، ضممت فخذى نحو بطنى ، عقدت كفى حول عظمتى ساقى ، أفرجت ما بين ركبتى ، دسست برأسى حتى أذنى شممت رائحة عفنة منبعثة من بين فخذى . لم أحتمل أكثر ، رفعت رأسى ، أزحت جفونى عن كرتى عينى .. لم أجدهما ..

صرخت : « أنا بحاجة إليكما ، إلى أحداكما ، إلى أنثى .. حلم أحققه » ..

بدا لى ذلك الجلف المتثائب الكريه الرائحة يوقظنى ، بالرغم من صوت أزيز بوابة الزنزانة المظلمة ، لم أنتبه ، عمداً لم انظر إليه ، دغمت رأسى بين ركبتى ثانية .

لم أكن أدرى أننى وديع ، ذكى ، ورشيق إلى الحد الذى جعلنى استسلم للقبض .

* * * *

الطائـــر

سُمع النحيب يعلو من بين الشفتين المتباعدتين ، سرعان ما بات لهاثاً وشخيراً .

أكاد لا أتبينهم بعدما حوم طائر غامض غريب فوقنا ، فانكسر ظله على وجوههم ووجهى .. وسكنت غمامة الحزن القلوب .

ارتفع الصياح ، يسألون عن الرجل المصدوم بسيارة مجهولة الهوية .. اللون ، الرقم ، السائق ، وكل الأوصاف ..

طالب بعضنا بالمحاولة :

« حاولوا جمع شتات ما تعلق فى ذاكرتكم منها » .

صمتنا جميعاً إلا واحداً ... قال :

« كانت السيارة ذات صفات لا توصف ، فى لمح البصر انتهى كل شىء » .. من يرانا يخالنا بلا أذرع بعدما فقدنا العينين واللسان .

* * * *

يبدو أنهم لم يتعرفوا على صاحب الجسد المفرفر تحت أقدامهم ، التصقت أجسادهم ، تراصوا على شكل الدائرة .

أسرعت نحوهم ، أوقفونى فى هدوء غريب ، ثم قالوا :

« ماذا تطلب ؟ نراك تستهزىء بالواقعة » ..

سألنى صديقى أخيراً :

« لماذا تغامر بالدق على سياج جماجمهم ؟ » ..
صرخت فى وجهه :
« من أدراك أننى أخشى طائرهم الغريب ، أنا خارج كهفهم » .
جفونه نصف المنفرجة سقتنى كل ألوان السباب ، عدت وحدى ، تقهقرت للخلف أمضغ غليى ، وقتها فكرت مليا ، قررت أن أقتحمهم ثانية وفعلت ، اندفعت ، أزحتهم ، نظرت فرأيت المُسجى على الأرض ، سحنته المكسوة بالهزيمة مخضبة بالدم المختلط بلون ليس كلون التراب ، كان بلون رماد الهشيم .
ماأن سكن الطائر فوقنا ثانية ، نكسنا الرؤوس ، أخبرتهم :
« مابقى من سحنة الرجل المصدوم .. أعرفه بها » .
تشككوا فى الأمر ، وقالوا :
« حتى الآن لم نتعرف عليه .. وحدك القادر على .... » .
قاطعتهم ، من أجل شىء فى نفسى تحديتهم :
« أظن أننى لو صلحت لشىء ما فى هذه الدنيا لكنت أصلح أن أحتفظ بملامح من تجمعنى بهم طرقات عليها دبيب قدمى » .
سخروا منى ، تابعت منفعلاً :
« أعرفه نعم ، بل وتعرفونه أنتم أيضاً » .
لسانهم رشق الصمت فى أذنى ، قبضوا على أقوالى لهم

ودسوها فى جيوب سراويلهم العميقة .. فعدت قابضاً على حيرتى ..

* * * *

اندفعت نحوهم ، إلى منتصف الدائرة ، حاولوا إيقافى فى هدوء غريب ، ثم قالوا :

« ماذا تطلب ؟ نراك تستهزىء بالواقعة » ..

لم أبال ، حملقت فيما بين أقدامهم .. دُهشت .. اقتربت أكثر .. ذُهلت .. التصقت بالمُسجى .. ذُبت . لم أستقم ولم يحم الطائر الغامض الغريب فوقنا .. اختفى ..

تلاشى الظل من فوق الوجوه فسمعتهم على غير توقع يرغون ويزيدون ، يبدو أنهم عرفوا صاحب الجسد المُسجى .

عيناى ولسانى وأذنى ، قدماى وساعداى ورأسى ، أحشائى وجلدى ، كلها بدت لى غير ما كنت أعرف . لذا لم أطلب منهم شيئاً ، لم يعد يعنينى أمرهم ولا حتى سؤال ملأ رأسهم :

« أين ذهب الطائر ؟!! » ..

النـوافـذ

-١-

.. سوف تسرِّى عن نفسك كثيرا ، حين تقف فى كمينك متربصا ، من خلف نوافذنا .

أمعن النظر جيدا ، فيما بين حدود حارتنا المتربة ، المقززة ، الزجزاجية ، العنيدة من الجدران الوطئة إلا دار « المعلم شبل » .

بقيت حارتنا بالرغم من زوال الحى الحى كله . بيوت الحوارى المجاورة أكلت نفسها ، باعها أصحابها ، فتلاشت بدكة واحدة ونضحت الأرض مكانها ببرجين شاهقين من الحوائط المستقيمة ، على شكل علبتين كبيرتين .. جداً ، لأعواد الثقاب السياحى !! شق ضيق بين البرجين جعل المقعدين والعجائز من سيدات حارتنا ، منكفئات على صدورهن وعلى الأرض ، من لفحة الهواء البارد المندفع نحو أتربة الحارة وعظامهن .

قد تسعفهن الشمس فى ساعة غير ثابتة ، من نهار كل يوم جديد ، فيها تتسلل أشعتها من بين البرجين ومن خلال الشق نفسه . كل ما يفعلن طيلة تلك الساعة . الانزلاق من بقعة ضوء إلى أخرى ، سرعان ما تختفى لتترك لنا شبحاً رماديا يكسو

الوجوه والأشياء وليتلاشى بريق كاذب لمئات السوس المنطلقة من الحفر العميقة فى الحارة والممتلئة بمياه أسنة ، غمرتها الأمطار وربما بقايا تنظيف البيوتات المتلاصقة . فيقول حكيم حارتنا « الشيخ ورد » ذو الوجه الأحمر ، والجلباب الأخضر ، واللحية الطويلة البيضاء :

« يا خسارة .. قبل بناء البرجين كنت أجمع ظلى ، أوزعه وأرميه ورائى .. أغرقه فى بركة ماء أو كومة أوساخ وأخفيه .

كنت سعيداً ، لأن ظلى ، قريباً منى أو بعيداً عنى . وكنت أفعل » .

—٢—

وأنت فى مكمنك وراء أية نافذة ، يجب أن تنظر مليا . ستلمح نوافذنا مرصوصة على غير انتظام . كل النوافذ تقع بين حدى نافذتين ، لا يتعامل أهلهما معنا .

أوطأها نافذة « حوش عيسى » أو « مقبرة عيسى » كما يسميه بنات عيسى ! ولأنهم يقاتلن من أجل كلمة واحدة لأى منا تمس شرفهن ، نادراً ما نتفوه عنهن وعن الغرباء الداخلين الخارجين إليهن ، إلا فى جلسات النسوة فى الشمسية أو أثناء مجالس الخدر للرجال ، وقد امتنع « عيسى » عن مجالستهم كما غابت بناته .

أما أعلى النوافذ فهى فى دار « المعلم شبل » . يصيبنا الدوار لو نظرنا منها ، وقد اعتادت عيوننا الرؤية من نوافذنا المنخفضة ، فهى أقدم مبانى الحارة وأفخمها . بناها الجد الأكبر أثناء الحرب العظمى . من بيع لوازم بوابير الجاز ، نجح فى اقتناء ثروة كبيرة ، ورثها الأحفاد . كل ما يشغل الصغار منهم الآن مصارعتهم لأطفال إحدى شقق البرج الأيمن - شقة عبده العفش - كلا الفريقين يشجع فريقا كرويا مختلفا ، ويعلقن الأعلام . تظل لعبة الأعلام تسلينا أغلب أيام السنة ، لنشعر بالفخار - بالرغم من كل شئ - حين يخفق علم أحفاد شبل .

منذ سنوات قريبة نجح العفش فى اقتناء شقة برجية ، تساءلنا : « من أين وكيف ؟!! » .

لم يخبرنا الملعون ، اكتفينا بمتابعة نافذته كل صباح ، يطل علينا وهو يتثاءب ثم يقذف بكلتا يديه فى الهواء ، كأنه يلطمنا عمدا ثم يختفى . أخيراً عرفنا ، لقد نجح « العفش » فى مهمة اقناع كل الجيران - إلا سكان حارتنا - ببيع بيوتاتهم الصغيرة لصاحبى البرجين مقابل شقة له هناك !

ولما شغلنا بلعبة الأعلام ، علقنا علما بلون فريق صغار أحفاد شبل .. وهو ما جعل « الشيخ ورد » كثيرا ما يقف وسط الحارة - بين الأعلام - ويصيح :

« الورد من اسمى ، وأنا لم أقتل أحداً ، ولم يلك لسانى سيرة أحد ، وبجيبى بطاقتى .
لماذا لا أخرج هذى الليلة . حقا ختم الحكومة أطاح ببعض من عنوانى .. لا يهم ! » .
كل ليلة يقف الشيخ ، يقولها ولا يفعل شيئا !!

-٣-

أما إذا بقيت كامنا فى مكانك ، تطل من نوافذنا لساعات طويلة ، سوف يتأكد لك أنها ليست ككل النوافذ .
فهى مربعة ، مستطيلة ، دائرية ، وفيها شبه المنحرف ، ومنها مالا يوصف بشكل ، ربما أقرب للشق الطولى ، كشقوق أسوار القلعة ، لكنها بلا جند خلفها .. إلا « عم مرزوق » وبعض النسوة ، هؤلاء المتابعون فى حذر وطء الأقدام الغريبة تغزو حارتنا منذ اعتلاء البرجين .
يؤكد أن الكبار منهم يدخلون « حوش عيسى » ، والصغار فيهم يلعبون لعبة القطار لتكون أطفالنا فى السبنسة !
« عم مرزوق » وحده الذى ثبت مواسير حديدة فى نافذته .
قصوا عنه الكثير ، قالوا :
« الرجل يحضر الجن » ، « ربما يخشى سرقة سريره الصغير » !! ، « لأنه يكره الناس .. » .

ارتاحوا للتفسير الأخير . تكشفت الحقيقة ، يوم أن شاهدنا صورته فى الصحف .. كتبوا تحتها : « القبض على شحاذ يملك ثروة كبيرة !! » ، بلا اتفاق مسبق ، اقتحمنا غرفته ، مزقنا المرتبة .. لا شىء حطمنا القضبان لنخبر بقية الجيران المتابعين فى الحارة . كانت المفاجأة ، لم تكن تلك القضبان إلا مواسير ملأها الشيطان بالعملات الورقية ! وكان يوم ، لم يصادق فيه جاراً جاره ، تشاجرنا معاً ، تصايحنا وتقاتلنا . لأول مرة نرى أناسا فى نوافذ البرجين يشاهدون وجوهنا الملطخة بالدماء والأرض .

عادوا إلى سابق عهدهم ، إلا « عبده العفش » ، لمحناه فى نافذته يضحك ! ليلتها لم يهدأ الشيخ ورد ، قال :

« رأيت اليوم أناملكم فى عينى .. أصبت . أغقلوا أناملى حتى لا أشير إليكم ، ولا تقولوا : ورد الملعون طعم للنار . هذا هو رأسى مرميا على الأرض » .

فاجأنا الشيخ وألقى بعمامته على الأرض !!

ـ ٤ ـ

شىء وحيد مكمور فى حارتنا وفينا ، لا يحتاج إلى نافذة حتى نتبينه . إنه تلك الرائحة الغامضة .. نفاذة هى ، كريهة .

إلا من نافذتين متجاورتين لسيدتين يتنافسان صمتا وعلنا . أيهما أفضل طهيا وأكثر حبا عند زوجها !

حتى جاء صباح ممطر وأرض الحارة زلقة ، والناس شبه نيام . انتبهنا على الزوجين يجرجران زوجتيهما ، فتنداح المياه الراكدة فى الحفرة العميقة ، وتنبت الآهات من خلف شفتى المرأتين .

قالوا :

« لم يتحمل الرجلان إسراف المرأتين » .

بعدها تلاشت بعض من الروائح الطيبة ، وبقيت الرائحة المكمورة فينا وفى حارتنا .

التفتنا حولنا نبحث عن الشيخ يفتينا ، لم نجده . لقد ذهب الرجل ولم يعد ، ولم تعد لنوافذنا معنى !!

* * * *

خمارة بانولى

- ١ -

كنت فى باكورة شبابى عفريتاً فضولياً ، أسعى لأن أعرف الدنيا بأذنى ، وعينى وأنفى ، وبلسانى ، وقبضة يدى .

غصت فى الطرقات وحدى ، سمعت الصمت ، رأيت لافتة خشبية مدلاة وقد أكلتها الشمس والرطوبة ، قرأت كلمة باهتة .. « خمارة ... » ، فيما بعد سميتها « خمارة بانولى » . أغرتنى الرائحة الغامضة ، فاندفعت .. جلست إلى أقرب منضدة ، انزرع أمامى « بانولى » معلقاً ببسمته الشمعية انشغل ويحك المنضدة الخشبية وحده ، بقى على حاله دون أن ينبس حتى نطقت .. « واحد بيرة » ، وبعدها فقط انفرجت تقلصات وجهه واختفى .

بقدر ما أحمل من أموال شربت زجاجة واحدة وحتى لا أكون كما السكارى الذين يأكلون ملابسهم ويتقيأون الدم . تجرعتها بسرعة ظناً منى أنهم يشربونها كما المياه المثلجة .. أصابنى الدوار ، تربصتنى عشرات العيون المبحلقة إلىَّ ، فسعيت بثقة لأن الكم أحدهم .. زادت الصرخات الضاحكة ولم أفهم .. لماذا ؟ شعرت وكأن الخمارة حوطتنى بحوائطها المعتمة اللزجة ، وقد احتوتنى بضوئها الباهت . أما صوت شروخ مناضدها

الخشبية ، خلته آنين اندحارها .. فرنت انفراجة على شفتى .

اتضحت لى تلك القطة الصغيرة اللاهية ، بكليتها تعلقت أطراف فوطة الخواجة المدلاة من حول خصره ، يهرس الأرض نشاطا بالرغم من شيخوخته .. الهانى مشهد القطة فابتسمت ..

فرغت الزجاجة ، سعيت بالتعلق بـ « كونتر البارمان » ، تابعت « حنفى » وهو يفعل أفاعيل الجن .. يلتقط قطرات الخمور المتسربلة عفواً ، يعد كوكتين السفنجة لجماعة ماسحى الأحذية والشحاذين وربما لصوص المنطقة أيضا ، وقد هالوا فرحين بعد منتصف الليل .

حاولت فهم سر الشجار السريع الدائم مع بانولى .. فهمت أن حنفى لا يستخدم « التوتات » ، ولما كان لكل صنف من صنوف الخمور معيار أو توت خاص بها .. انجلت الحقيقة . أدهشنى أن وجدت بعضهم يبكى بين يديه .. كله آذان صاغية وعيون منتبهة حتى لمحته مرة يبكى . وتزداد الكؤوس « الكادو » من الشاكى لأوى الشيطان يخرج كأساً أخرى من تحت الكونتر ـ يبدو أنها كولا مثلجة ـ يشربها ويبيع الكاسات الكادو لزبائن آخر ، وليتجدد الشجار مع بانولى .

تقدم بانولى فى آخر الليل ، رأيته ملياً ، لأول مرة ، المحه هامداً مستقراً على قدميه .. قصير ، بدين ، محتقن البشرة .

تشاجر مع حنفى أكثر من أية مرة ، قال : « إنتى خرامى ياخبيبى » . تابعها بالقرار المفاجأة .. أن يبيع له الخمارة بأى مبلغ ، قرر بانولى الرحيل إلى بلاد الأجريج فى الصباح خوفاً من التأميم المنتشر فى البلد هذه الأيام .

من فرط انشغال الرجل وفرحة حنفى لم أدفع ثمن الزجاجة .. فشاركتهما الفرحة !

— ٢ —

تخرجت فى الكلية العلمية التى لم أعشقها ، أدخرت بعض المال لتأثيث منزل متواضع .. قررت الزواج .

عفواً مررت أمام الخمارة وخطيبتى الجميلة . لم أجد اللافتة ، بهرتنى أضواء النيون الأحمر ترسم .. « كافتيريا وبار السعادة » . نبتة الشيطان جعلتنى أقنع العروس باقتحام المكان الذى هالنى من الداخل .. مزقه حنفى بحوائل خشبية إلى عيون شديدة الإضاءة فى بعضها ، باهتة فى بعضها الآخر ، حالكة فى أغلبها .. وفى إحداها جلسنا .

تخليت عن عينى ، تشممت عطرها ، تنصت مستثاراً على أنفسها اللاهثة . لم أشعر بحاجتى إلى البيرة ، اكتفيت براحة قبضتى تنداح فى دفئها ، تلملم عبقها ، تسعى إلى نداء نعومتها ، تتذوق شهى انتفاخ بطنها حول السرة .

اعترضت العذراء ، أفهمتنى : « كلى لك ، فقط حل المشاكل مع أبى » . أسلمتها إلى باب منزلها . تذكرت بانولى بالفوطة البيضاء حول فخذيه وساقيه . عدت هرولة ، أمنى نفسى بالبيرة المثلجة . هالنى ما فعله حنفى ، استبدل بانولى بـ « التورشونة » المعلقة على جانبه والمنديل الأبيض حول عنقه يحك به بشرته المكسوة بالعرق فى عز الشتاء من فرط حركته التى لا تهمد .. استبدله بتلك الجميلات الهائمات حول المناضد فى لزوجة متعمدة .

لم تعد « سعدية » والقطة .. وحدهما ، لمحتهما معاً فى الركن هين الإضاءة بجوار المدخل وهو نفسه موقع مخرجها أيضا . أمامهما قفص الخوص المسجى والمزين بالسميط والفول السودانى البارد بالرغم من ندائها « الملهب » ، ولا من مشتر . فيما مضى رأيتها متعلقة بظل أحدهم بعد منتصف الليل . هذه المرة رأيتها فى كمون غامض أثار فضولى لبعض الوقت .

انتبهت لأبحث عن حنفى .. اختفى داخل بدلة اسموكن سوداء ورباط عنق أحمر طرابيشى ، اكتفى بالمقعد العالى المنجد وأمامه آلة حديثه لحساب وجمع الأموال المدرارة .

لمحت البارمان الجديد وقد انخسفت به الأرض ، لم أر منه سوى صلعته اللامعة فى الضوء المتعدد الألوان . أحزننى كثيراً

أن وجدت القطة هامدة ، مفرودة الأرجل ، مرتاحة الرأس والرقبة إلى الأرض ، وقد كفت التعلق فى أى شىء . ربما تسعى « سعدية » بين الحين والآخر .. تربت عليها ، تحاول أن تلقمها قطعة من السميط البارد .. وترفض أيضا ! ففهمت معنى دمعات سعدية .

تزاحمت الأشياء فى رأسى .. ضحكت حتى دمعت عيناى ، كلى يقين أننى أتحدى برأسى أن تذهب بها حفنة زجاجات من البيرة .

— ٣ —

لم يمنعنى صورت هشيم الزجاج وأنا أدفع باب الشقة من خلفى لعله يحيل بينى وبين زوجتى التى تلاحقنى فى مشاجرة لا أعرف لها سببا .. ولم تخطئنى الذاكرة وأنا أتجه إلى خمارة بانولى وقد أصبحت كافتيريا وبار السعادة . تشوقت إلى كل شىء كان ، وصلت ، تشككت .. طغت الأنوار اللعوب ، الروائح النفاذة ، فانسال لعابى أعلى أخاديد ذقنى ، وقد انقضدت على فريستى . اعتليت البساط الأحمر الممتد ، استقبلنى ذاك الأسمر بأسنانه البيضاء . دغمست عينى ، قرأت « ديسكو السعادة » ، واندفعت نحو الأصوات الراقصة ، منعنى النطع .

حاولت إفهامه أننى لم أدفع تذكرة من قبل ، فضحك وهو يمد أصابعه الخمسة المنفرجة .. ودفعت !

كل شىء فى انفلات .. الضحك ، الرقص ، الغناء ، حتى الإيماءة والهمسة متشنجة .. حادة ، لكنه قرارى .. لن أترك المحل قبل أن أسكر طينة !

حملقت ، لم أر ذكراً بدون أنثى .. ما كانت إلا سعدية والقطة .. بحثت عنهما ، اختفى موقع سجدتها الأخيرة ، لم أجد من أسأله !!

انحشرت فى المقعد غير مرتاح ، ولا أدرى بسبب بداتنى أم لضيق المقاعد المنجدة بالمخمل الأحمر .. بحثت عن صلعة البارمان .. ربما أخفتها أجساد الجالسين والجالسات إلى « الكونتر » . لعنت حنفى الذى فعل بالخمارة كل هذا وأنا أطلب من الخادم كأس « فورموت » وعشاء خفيف قبل الويسكى . بهدوء أفهمنى أن حنفى قد مات ، ورثها ابنه « محسوب » الذى جعلها مثل العروس !!

ضقت من المقعد ومن الويسكى « المضروب » ، غشه المعلون ، فشعرت بالرغبة فى التقيؤ وبهياج مصارينى وثورة معدتى التى أظن أنها جاءت فى غير وقتها .

حاسبت النادل ، خرجت ، استقبلنى غطيس ليلة باردة ،

وتسليت بظلى ، أخيراً وصلت ، أضأت غرفة نومى ، حدقت فيمن رأيته فى المرآة ، تعرفت عليه وعلى شعرة ملعونة بيضاء .

أسرعت جاداً فى نزعها . طالت مدة المحاولة ، فشلت .. صوت قريب جداً منى ، لم أتبينه ، تأكدت .. أنها زوجتى ضاحكة تقذف اصبعها السبابة إلى فروة رأسى .

حوار من طرف واحد

كمن ألقى به فجأة بين الآخرين .

يشعر وكأنه عينان تنظر ولا ترى ، قلب ينبض ولا حيلة له فيه ، أطراف ، تقوده ولا يقودها ، ومعدة تلتهم ما يهدىء من روع تقلصها .

هذا ماكان ذات صباح . لم يكن ككل صباح . انقضى شهر « طوبة » بوطأته البليدة . نهض . اغتسل . نظر من خلال زجاج النافذة ، قرر ألا يرتدى ملابسه الخفيفة .. لعله يتحرر من قيد « طوبة » وبردها .

زوجته قالت : تكلمت كثيراً ولم يسمع ، ربما سمع ولم ينتبه ، لعله منتبه ويتجاهل تحذيرها : « أرجوك ، لا تدع أيام أمشير تخدعك ، أرجوك » .

رفض تناول الافطار ، شرب الشاى مع سيجارة يدخنها وحده . زوجته الشفتين .. تلوك ، تتكور ، تنفرج ، تنبسط .. لا أكثر ، شرد عنها فيما قاله بعضهم ليلة الأمس :

« لماذا لم تنجب حتى الآن ياصديق ، يارفيق ، ياشقيق .. ياحبيب ياقريب ، ياغريب .. ياأنت ؟ » .

* * * *

هبطت درجات السلم فى تؤدة ، مبحلقا إلى ما بين فخذيه . حاول أن يطوى ذكرى ليلته الطويلة وصباحه المباغت . أمام باب المنزل شعر برغبة أن يضرب صدره ، فعل ، سعل سعالا خفيفا ، لم يتردد ، كررها وهو يحاول أن يسحب شهيقا عميقا . أخيرا وصل محطة انتظار الأتوبيس .

دفعوه بحيث وجد نفسه فى منتصف الحافلة المكتظة . تشبث بعمود حديدى حتى لا يهرسونه تحت أحذيتهم . ظل متعلقا بعمود النجاة سعيداً وحده . لم تنجح شكوى الأخرون أن يتنازل عما فاز به . إحداهن تشكو صعوبة فى التنفس ، شيخ بدأ يصيح : « ما عدت أحتمل الوقوف على قدم واحدة » . المحصل غاضباً يأمرهم بالارتصاص المنتظم .

أخيرا انتبهوا له ، إنه العائق المشكلة بجسده الضخم الكائن فى منتصف السيارة ، لما فشلوا معه سبوا أبويه ، أعلنوا حكمهم الجماعى : « أنت يا من كنت عائقا يا أيها الأنانى .. أنت السبب ! » .

« أنا؟! » .. « لعلكم تقصدون الزحام الشديد ، وربما شيخوخة ذاك الرجل ؟! » ردوا عليه بصوت متفق عليه : « بل أنت نفسك » .

تمتم لنفسه غير دهش ، إلا أنه حزين ، قال :

« أنا لم أصنع ما حدث ، أنا تأثرت به مثلكم .. وحرك فى نفسى الأحزان » قابلوه بالصمت . لم يطق عقابهم . قبل محطة الوصول سقط من بينهم ، تابع مشواره سيراً على الأقدام .

* * * *

ولج بين أجساد لا يعرفها فى الشارع الطويل المزدحم . لطمته البرودة ، غدر به المناخ المتقلب ، أجسادهم لم تحمه . فى طفولته كثيراً ما احتمى بجسد أبيه وحده . فجر كل صباح تحت المطر والثلج والبرد ، وفى كل الأجواء كانا يخرجان معا ، تحت المعطف الصوفى المتآكل الوبرة إلى منعطفات بحيرة المنزلة . بأسلحتهما القديمة البدائية يلتقطان الأسماك ، فيقول الأب لولده :

«ما أغباها أسماكا » .. الطفل دهشاً : « لماذا ؟! » .

« لأنها تسقط بين ذراعى وأنا إلى الأعمى أقرب وبين ذراعيك الجاهلتين تلك » .

الأب فى أيامه الأخيرة شعر بعجزه عن الصيد : « ياخسارة » قالها وكف عن العمل . حينما شعرت الأم أنها غير قادرة على رعاية الشيخ .. ماتت . فكان على ولدهما أن يرعى الأب العاجز والأم المتوفاة . وصيتها الأخيرة له :

« إزرع الصبار عند قبرى .. رش الماء عند رأسى كل صباح » .

توالت الأيام ، فقال لأبيه الملقى فوق الفرن البارد :

« آه ، لقد عجزت عن حماية كعب قدميك من التشقق ، أراه غائرا حتى عظمتى كاحليك » .

لم يفق من شردته إلا عندما ارتطم بأحد المارة ، اعتذر له ، الآخر نظر إليه .. فقط ، ليته كان لعنه ولعن أجداده . هذا ما شعر به وهو ينسحب إلى مدخل المبنى الكبير المتعدد الطوابق . أنه يملك فيه مكتبا متهالكا فى ركن ضيق لإحدى الغرف المظلمة هناك بالطابق تحت الأرضى !

قبل أن يجلس إلى مقعده الخيزران الأسود قال :

«ترى لماذا كان هذا الرجل عصبيا معى هكذا ؟! » .

زملاؤه لم يسألوه عما يتحدث ، تعودوا منه أن يرطن هكذا وحده !

* * * *

انزوى من الباب الجانبى بعد انقضاء ساعات العمل ، يكاد لا يتذكر تفاصيل ما عمله . كل ماكان يشغله : « لماذا أحاطنى هؤلاء ليسألونى فى دائرة عجزى . أليس من الأجدى سؤالى فيما أنا قادر عليه . يعلمون أننى أجيد العزف على آلة الكمان . اعترف بمهارتى ذوى الخبرة وأعلام الفن ؟! » .

قرر أن تكون رحلة العودة سيراً . قادته قدماه إلى حيث لم يتوقع .

إزدحام وضجيج ، بطانته تطلب المزيد . مطرب آخر هناك وبطانة أخرى . حلقة ذكر تزداد وتكبر وأخرى على الجانب الآخر .

« النشاز» ، النشاز يملأ المكان » .

قالها فى نفسه ، منفعلاً ، محتقن الأذنين . على حين غرة اندفع نحو أحدهم خطف آلة الكمان منه ، فوراً بدأ يعزف عليها . الرجل تأكد أن سارقة حاذق وماهر فتركه .

فى أول الأمر التف الآخرون للفرجة ، لقد تخير لهم معزوفة من موسيقى كلاسيك ، فبات بهلوانا جديدا يأتى بما لا يقدر عليه الشيطان . الحلقة من حوله تكبر . أحدهم ، أطولهم ، إندفع من وسطهم . بدأ ينظم التفافهم . أما هو فقد إندفع فى عزفه شارداً عما يدور من حوله .

الطويل ، بدأ يدعو آخرين أن يشاركوهم الاستماع لهذا العجب العجاب . إيقاع العزف يزداد سرعة ، وإزداد الرجال ، اتسعت الحلقة . الطويل وسطهم يدير حركاتهم بكل حواسه وانتباهه وقد حمل أحد فعليه فى يده اليمنى مشيراً بها إليهم .

صاحبنا غرق فى دنياه ، يكاد لا يعى ما يدور حوله ، إلا أنه

لمح أحدهم يسرق حافظة جاره ، وقد بدأوا بإشارة من حذاء « الطويل » يحركون رؤوسهم معا .. مرة يميناً ومرة يساراً .

هنا فقط كف عن العزف . رمى آلته اندفع نحو السارق . الرجل الطويل فهم . قبض عفى قفاه . أمره أن يستمر .

العازف حاول إفهامه أنه ليس محترفاً وأنه عازف هاو .. يعزف وقتما يحب ويكف عندما يشاء .. قال له الرجل :

« هذا قبل أن تقف هنا ، وأدعو الناس للاستماع إليك . عليك بعزف أى شيء ، أى شيء لا تحبه .. لم يعد يهم » .

مكان مزعج للغاية

لست أدرى لماذا يختارنى دون غيرى فى هذه الحديقة الفسيحة الوديعة ؟.... يجلس إلى جوارى ، يحكى حكايات آلته ، تلك الساعة الثمينة التى اشتراها منذ فترة قريبة ..

لم يحدد لى تاريخ الشراء ، لكنه أخبرنى بإحالته إلى المعاش منذ شهور قليلة ، وأنه يحضر هاهنا بعد خروجه من المستشفى لتنشيط عضلات فخذيه على أثر سقوطه من فوق درجة سلم المصلحة المحطمة ، تلك التى عاشرها لأربعين سنة لا يخطيئها ، دوماً كان ينجح فى اجتيازها حتى ولو كان منهمكاً فى حديث عمل مع آخر .. إلا يوم استلام أوراق ومكافأة المعاش ..

وأيضاً لا أدرك سر فشلى فى مواجهة محاولاته معى ؟.. حتى حرمت نفسى من شمس الخريف الدافئة وغيرت ميعادى .. ينجح فى اللحاق بى يُدهشنى إصراره على جملته التى تقدم بها إلىّ أول مرة حتى أقبله شريكاً لى على الأريكة الرخامية .. يقول : « إنى امتدح ذكاءك فى اختيار هذا الموقع الهادىء ... وامتدح الظل !! » ..

ولأنى لا أجد هاتين الميزتين ، لا أشكره ولا أطلب تفسيراً ، ربما خجلاً من نغمة الثقة التى يتحدث بها ومن هالة الوقار الهائمة حول سحنته ..

ثم تساءلت .. لعلها المصادفة ؟!

أيقنت أنه يتربصنى ، تعودت اقتحامه المباغت .. رأيته من على البعد يرفع إطار نظارته المدعمة بالبلاستر الطبى ، يُلتقمنى بعينيه المجردتين . قال لى إنه ورث عن أبيه بعد النظر ويفيض فى وصفه لنعمة طول النظر عليه ، وأعجز عن إفهامه الفارق بينهما .

يقطع المسافة بين موقعينا فى خطوات وئيدة ، منثنى الرقبة ، منحنى الجذع حتى يرتطم بى من فرط انهماكه بالعبث فى أزرار ساعته الفخمة .

حِرت فى أمره ، لم أعد أسأله فى شىء ، فهو لا يجيب إلا عما يريد الحديث عنه ..

تعودت أن يبدأ جلسته معى بالسؤال عن موقع عقربى ساعتى ، أجيب بالساعة والدقيقة والثانية .. لمرة واحدة حاولت الاعتراض بأنها غير دقيقة وقد ورثتها عن جدى .. هاج فى وجهى ولعن كل الشباب فىَّ !!

فانقضت عليها أتحسس وأبحلق فيها مليا .. أتأمل إطارها الذهبى اللامع ، وكيف تصبح بصلة تحدد القبلة ، وميقاتية يدق جرسها فى مواقيت الصلاة ، تكشف عن ذاكرة لأرقام التليفونات .. أكثر ما بهرنى أنها تسجل الأجزاء من الثانية ،

وهو ما يجعلها صالحة لمسابقات العدو . وأيضاً يمكنها تحديد اليوم والشهر والسنة ، وإن كنا نهاراً أوليلاً ، كأن شيخنا يستخدمها وهو تحت سطح المحيط !

انقضت شهور الخريف وأنا داخل غابة هموم الشيخ مع ساعته القيمة حتى فاجأنى فى عصرية يوم شتوى جديد بالاختفاء !!

فى الضوء الشاحب الشحيح ..

كانت الأسطح الزجاجية للنوافذ المغلقة العلوية مغمورة من الخارج بالأمطار الغزيرة ، ومن الداخل بأبخرة المشروبات الساخنة وزفير الجالسين إلى المنضدة الصغيرة ذات القاعدة الرخامية الباردة ،وقدانهمكوا فى محاولة لإتمام الصفقة ..

ما بين الهمس والصياح تتلامس الرؤوس وتتباعد إلا من أحدهم ، انشغل بالجبهة الأخرى ، وقد جلس فى المواجهة العم سيد ، فتابعه فى إيماءاته والتفاتاته والتواءات رأسه ذات اليمين ، وذات الشمال .. تابعه حتى أصابته عدوى الابتسام ..

وكانت الأضواء الشاحبة الهزيلة تترنح من المصابيح البالونية المجللة بدخان سجائرهم والجمرات المتوهجة لزوم الشيشة وأيضاً دخان تلك السيجارة المشتعلة الملقاة دوماً أمام ذاك المشغول فى إعادة طلاء صناديق النرد « الطاولة » القديمة ..

تلك المصابيح المدلاة من السقف الخشبى المائل فوق رؤوسهم ، لم تمنع رفيقهم من متابعة العم سيد البوهيجى خطوة فخطوة ... يراه يحك الطلاء القديم فتتلاشى حدود المثلثات التى كانت ، وتتجمع نتف سوداء وبنية قميئة ، وقد يصمت قليلاً قبل

متابعة الخطوة التالية مكتفياً بدوائر الدخان الأزرق من السيجارة الملقاة بإهمال أمامه ..

عندما حانت الساعةالأخيرة من النهار الذاهب إلى هناك ، والمعبأ بوخزات برد ديسمبر القارس ، وقد فاضت الكلمات والإنفعالات ، بينما لم ينس رفيقهم مكتفياً بالبحلقة ومتابعة رسم حدود المثلثات الجديدة على القاعدة الخشبية فى خطوط مستقيمة وبيد غير مرتعشة ... سألوه حلاً ..

لم يطل انتظارهم ...

فقد تركهم ، تقدم نحو المنكفىء على الصندوق الخشبى اللامع ، فغشته رائحة الجمالكا ، والسبرتو الأحمر النفاذة ، اقترب أكثر من تلك السحنة اللامعة المضيئة من أثر رذاذات العرق الهين المنتوح !!

لم يزد البوهيجى عن إيماءة هينة ، فكادت تتلامس رموش العيون ، وقد تعلق بعينى الرجل المدغمستين .. بقايا على حالهما حتى مد أنامله المصبوغة بطلاء الجمالكا البنى إلى حد الاسوداد ، بدت كذلك وهو يسحب السيجارة المدلاة من العلبة المدودة ..

فى الهوينا تسللت من بين الشقوق والغوالق الغائرة بالبشرة المضيئة اللامعة تلك البسمة الغامضة والتى تبدو عن غير معنى

وعن غير قصد ... ليعاود فى تؤدة تأمل صنيعه مع هزهزات وإيماءات والتواءات رأسه ..

وعندما عاد الرجل إلى رفاقه وبقايا الابتسام على وجنتيه ، أصابتهم الدهشة وقد لمحوا انشغال العم سيد البوهيجى فى التهام السيجارة فى صمت ، كأنه لم يدخن منذ سنة ..

* * * *

التيـــه

(١)

أنا الآن وحدى . هاهنا فى الشقة الصغيرة الضيقة ، شقتنا التى كنا معا .. نعيش ، الجدران ، الأوراق المنثورة ، وحبيبتى ..

هنا أنا بمنجى عنه ، عنها ، عنهم ، عن كل شىء .. أما الأنباء الواردة عمداً ، الشمس الساطعة الغافلة عمداً ، الريح الهوجاء ، والرياح الطيبة عمداً ، الزمهرير والقيظ المتتابعان عمداً .. و ... وأصوات الخرير والهزيم ، الهديل والنعيق ، الحفيف والفحيح ، التغريد والنواح . كلها ، كلها من هناك .. لم أعرها اهتماماً .. أطل من خلال زجاج النافذة .. أضحك ، أرض مبتلة ، أفريز يعلوه شجرة مرعوشة لا تقوى على الصمود .. أناس يعدون ، يختبئون ، رؤوسهم داخل فكرة النجاة ، فتغوص أقدامهم عفواً فى المستنقعات العفنة .

أطل عليهم ثانية .. أضحك ، أرض جافة ، أفريز يعلوه الغبار . الشمس الهاجرة تقدح ,فيتشقق الزفت القاتم . هواء مغبر جاف يحرق أوراق الأشجار الهامدة ، وأناس يعدون ،

يخبئون رءوسهم داخل أمنية الخلاص فتغوص أقدامهم عفواً فى الحفر الغائرة المتربة الجافة .

فأضحك ، أضحك ، أضحك !

(٢)

منذ أن دخلنا ذلك اليوم البعيد إلى شقتنا العلوية ، وبين يداى راحتاها ، وفى عينى نظرتها المتسائلة الحائرة ، قالت ، كانت دائماً تقول :

[إنى أسمع أصواتاً لأقدام خلف الجدران]

أرد غير عابىء :

[لعلها لأطفال تلهو] ..

ترمى رأسها على صدرى :

[لا ليست لأقدام بشرية] .

فأقبلها فى عينها اليمنى ثم اليسرى .. أضحك ، أقول :

[ربما لهرة تلهو وذكرها ، دعيهما] ..

تلتصق بى أكثر ، أشعر بحرارة لحمها . تقول :

[لا ليست لذوات أربع] ..

فأدغدغها ، أشعث شعرها الناعم ، أضم رأسها بين عضد وساعد ذراعى اليسرى ، وأهزهزها .. صامتاً هذه المرة ..

ولما كانت عيناى تنظران فترى ، ولا أستطيع أغض الطرف

دوماً ، وجدتنى مجبراً أن أنظر إلى أعلى الحائط قبالى ، بجوار صورة مكبرة تجمعنا . إطارها ذهبى وخلفيتها شجرة صناعية رديئة الطالع .

لمحت صدعاً متعرجاً ثعبانى المشهد دقيقاً يكاد لا يُرى . الأمر يحتاج إلى وقفة تأمل دقيق ، والوقت غير مناسب فرأسها على صدرى .

مشغول بها إذن ..

شعرت برغبة فى أن أطمئنها ، فأضحك ثم أضحك !

داخل الشقة الضيقة الصغيرة لم يكن يعوزنى شىء ، كنا كروحين هائمين .. نبحث عن جسد واحد ، نستنطق الأشياء فننطقها .. مقعد واحد فنجلس ، طبق واحد فنأكل ، كتاب واحد فنقرأ ، أما مرقدنا العريض تمردنا على سعته حتى تقعرت حاشيته فدمعت عينانا ضحكاً . نعم ، تأكدنا أن المرقد ارتسم على هيئة علامة اللانهاية الجبرية أو الشدة الممدودة فى لغة الضاد ..

من حولنا الجدران الصامدة والصامتة .. شفافة .. حبيبتى ، كانت تنظر من الجدران وترى العالم .. فتقول :

[بحور العالم .. زرقاء كعينى فتاة جميلة .. سطحها هامد .. وعمقها تمويه ، خداع ، مواربة .. وصراع .

رمال الدنيا .. صفراء كسنبلة قمح باسقة ، أراهم يسعون ، يهرولون ، يقفزون .. من أجل حبة منها .. ناضجة ..
جبال اليابسة أوتاد كعنادك من أجل حبى .] .

ويخرس لسانها فجأة ، تحوطنى بذراعيها ، تمرغ وجهها الملفوح بشمس الظهيرة ، الندى بعرق يعلو انفها ، وبشفتيها الجافتين المرعوبتين تلملم لحم صدرى ثم تنطقها مقضومة الكلمات غير مفهومة ..

[أبدا ، هى . هى . هى ، أقدام لقادم لا محالة] ..

فأحملها فوق ساعدىّ أرفعها ، أطوحها فى الهواء ، ألقى بها إلى مرقدنا ، وأصك شفتيها حتى لا تنطق .. بشفتاى .. فتصمت ..

وأكتفى بالنظر بعيداً ، أبدو كمن دسوا فى عينيه غمامة غاصت إلى عقر مخه ..

لحظتها لم أر سوى الشق الثعبانى الدقيق الذى يغوص فى الجدران .

بلا رغبة وحتى أطمئنها ، افتعلت الضحك .. فضحكت ضحكة ممجوجة !

(٤)

وقتها ما كان يخطر على بالنا من أشياء لا تكون إلا لنملكها ،

وملكنا السماء الجارية فوق رأسينا .. بنجومها وأقمارها وسحابها وأثيرها ..

الصقناها فوق الجدران ..

يوم رغبت فى الحكى ، سألتها وأجابتنى ..

قالت :

[سألونى ذات مرة .. هل تحبينه ؟ .

همست إليهم : يارفاق ، عندما يكون ميعاد لقاء .. تزغرد الخطوات من قدمى وترقص سيقان الناس من حولى . وبعد أن اتركه ليغيب عن وجههى ، يطوقنى عقد من أنفاسه .. شهيقى من زفيره ، عبيره بغير شبيه] ..

مبتسماً لاحقتها ، قلت :

[ما أن تهفو نفسى إليها ، التقط عينيك من بين عيون العالم ، أجذبهما أدفعهما نحوى ، أطرحهما إلى بساط يكفينا من جدائل شعرها الأسود ... و .. أطير ، أشرد ، وأتوه] ..

فترد رائعة العينين ..

[التيه ، وأنا معك ، وأنا بعيدة عنك] ..

ترفع رأسها غاضبة السحنة تقول :

[ماذا بك ؟ هل حان وقت التذكر .. ألم تعد تحبنى ؟] ..

أجذبها وأضمها حتى تتلاشى فى جسدى ، إلا أنها سرعان ما

انفلقت عنى ومنى .. صاحت بصوت مذعور زاعق :

[ها هو الصوت يعود ثانية .. بل وما بعد الألف .. أسمعه .
ها هو الصوت الخرافة ، الحقيقة .. قادم ..

ها هو صوت أقدام تجوس خفية خلف الجدران لقادم لا محالة] ..

وجهها يشحب ، عيناها تدمعان ، أطرافها تعجز عن احتوائى هذه المرة ، وإن حاولت ..

سرقنى مشهد الشق الغائر داخل الجدران بجوار صورة تجمعنا .. شهقت ، حاولت افتعال الضحك .. عجزت حتى عن بسمة شمعية كاذبة !!

السـلام عليكـم

... جاءنا من الوجه المغضون مع القامة القصيرة والانحناءة الهينة ، تحفه خطواته الزاحفة ، فتساءلنا عن اسمه وأصله ؟!

انطلقت الألسن المجتمعة ساعة المغربية عند رأس حارتنا ، إلا لسانى الذى يجهل كل شىء عن الرجل : « حضر بالأمس فقط ، وأقام فى عُشة الأشباح » ... « رأيته مع أسماله وصندوق خشبى أسود كبير » ..

لأننى أعرف أن فى نهاية حارتنا السد عشة من الصفيح الصدىء وعروق الخشب .. لا نقدر على هدمها ، ولا حتى البقاء بجوارها .. دُهشت .. كيف يتحمل الرجل تلك الأصوات المنبعثة من داخلها ، والنار التى تتوهج وتخبو وحدها ، وأشياء كثيرة غيرها غامضة مفزعة ؟!

لكننى عدت عندما أخبرنا أحد رفاق المقهى : « أنا أعرفه منذ أن كان أحد أبطال حمل الأثقال فى بلدتنا الصغيرة » .. اقتنعت بالرغم من كل شىء أنه قادر على أثقاله التى أراها ، جيركن بلاستيك وكيس قماشى بال !

انتبهت على الصوت المشروخ الزاعق بقدر عزم حنجرته وانفراجهفكه المرتعشة يقول :-

« السلام عليكم » ..

... خلال سماء تال لاحقته الألسن قبل أن يقترب تماماً ، ولعنا جلستنا المسائية ، فقد اعتاد العجوز أن يشترى احتياجات جسده المنهك وملء الجيركن بالمياه النظيفة من الميضة القريبة مننا ، ثم يعود على حال لا ينقضه أبداً .. قابضاً بأسنانه على ذيل جلبابه ، وبكفيه على الجركن الممتلىء بالمياه والكيس القماشى المنتفخ ..

وإن بدا لى يوماً بعد يوم .. أشد انحناء ، تدهشنى رقبته المشرأبة وقد حمل عليه رأساً صغيراً مكسوا بصفحة وجهه المرشوق بأنفه الكبير الطويل ، كلما اقترب منا أكثر أتأكد أن أنفه هذا أسبق كل أعضاء جسمه الضئيل إلينا .

ولأنه يرفض دوماً أن نحمل عنه أحماله ، كما يرفض أن يُفضى بشىء عن العفاريت التى يعاشرها فى العشة ، نكتفى بالنميمة ويكتفى هو فى رواحه وإيابه بكلمتين اثنتين :

« السـلام عليكـم »

... لولا الحياء لصرخت ملء خشمى ، لكن المكان فسيح وأذن العجوز ماعادت تعمل .

مازال الرجل على مشهده المختار .. تسحبه خطواته نحو هدفه الذى فى رأسه ، لكنه هذه المرة من غير أحماله ، سألناه ..

فسعل سعالاً مفتعلاً ، لعله لا يريد الإجابة أو ربما يدعى الانشغال عنا .

لولا الحيرة التى واتتنى لسبقتهم جميعاً إليه ، أسأله عن أحماله وعفاريته !!

بمضى الأيام كثرت الأسئلة وتعددت الإجابات حول الذى كف عن أشياء كثيرة اعتادها واعتدناها معه .. إلا الكلمتين .. ينطقهما ولا ينتظر رداً :

« السـلام عليكـم »

.. خلال مساء عاصف ، لم تشرق شمس فى نهاره وإن حاولت .. جاءنا هذه المرة من الرأس المطأطىء ، والوجه المسحوب إلى الأرض ، وإن رفع حاجبيه عله يرانا إن أراد !!

جاءنا العجوز تحفه الأوراق المبعثرة من حوله ، والتى يحمل بعضا منها فوق ذراعيه ، ألقى السلام وأشار إلى أحماله ، لأول مرة يضيف كلمة أخرى ، قال : « أوراقى » ، وتابع إلى صخرة صغيرة يلهث .. اكتفى بصخرة تحف ظل مقاعدنا ..

لكننا أذكياء صبره ، صمدنا حتى بدأ ينشغل بلصقها إلى عينيه الغافية ، ربما يقرأ ... أكيد ..

ما أن صاح إلينا حتى هب الجميع نحوه ننقذه من غفوته التى طالت ، بحلق فينا ، عاود النطق : « إنها أحمالى !! » ...

خلال لحظات تالية أشفق علينا من حيرتنا ، فتابع تمتمته :

« يأأيتها المخلوقات الطيبة .. أسعد الله مساءكم ، لم تنجحوا فى رهانكم .. السلام عليكم ... » ..

* * * *

« قصص قصيرة جدا »

أهـــلا

استقبله مصافحاً ، قبل أن يجالسه وضع براد الشاى على النار . سرعان ما انشغلا فى مشاهدة برنامج المصارعة على شاشة التليفزيون ، تذكر الشاى ، صبه فى كوبين وهو مازال يتابع ، كانت أوراق الشاى السوداء تصعد وتهبط خلف الزجاج المُعتم .

انقضت الثوانى والدقائق ، برد الشاى ، انتهى البرنامج ، أدار وجهه إلى جليسه قائلاً :

« أهــــــلاً »

* * * *

إغـمـاءة

متصلباً أمام شاشة التليفزيون تمضى به الدقائق والساعات ، يحرص على سماع كل نشرات الأخبار العربية والأجنبية ، ولا يجيد أية لغة أجنبية .

اكتشف أن ما يقال ويعرض فى الأخيرة غير تلك التى يسمعها بالعربية .

بالخبرة عرفها ، من الصور التى يتابعها بدقة ومن بعض الأرقام التى يحفظها بالأفرنجية .

تشغله الحقيقة ، يتصفح الجرائد قبل النوم ، يقرأ أخباراً أخرى وارقاماً غير السابقتين .

ينام عندما يغلبه الإجهاد فيما يشبه الإغماءة ..

* * * *

الأمـــل

ينافسنى فى صباح بعض الأيام ، يندفع نحوى ، دون أن ينبس يزيح الصحيفة من أمامى ، يبحلق فى الأرقام بتؤده .

بمرور الوقت لم يعد يقضى زمناً طويلاً ، سرعان ما يتأكد أنه لم يربح فى السحب الدورى كحالى ، ولم أعد أغضب منه ولا اشترى الصحيفة .

* * * *

الليـــل

رأسى فوق الوسادة أو تحتها .

قدماى ، فوق طريق الجبانة .. المظلم ، كان يغشى بالألسن اللواكة ، ساقاى ، تعدوان إلى بقعة ضوء تخبو ، تُسرعان قبل أن يتلاشى . العرق ، يكسو الجلد المحبب بالبثور والشعر المقذوف منه .

فى ظنى أن قوة ما عاونتنى حتى أفرجت عينى ، حدقت ملياً فى الجدران الوطيئة الضيقة ، ورائحة الصبار تغزو منخارى .

صرخت وبشدة ، تلقفتنى زوجتى بين ذراعيها ، دست بين شفتى كوباً من المياه الباردة .. ارتويت ..

ثانية ارتميت ، ولا أدرى أكان رأسى فوق الوسادة أم تحتها !!

* * * *

الرجفـــة

تجهم وهو يقول لأبيه : « اخرج من البيت » .. العجوز الملتصق بركن الحجرة ، المتشرنق فى جلبابه الدبلان ، أخيراً جداً رفع رأسه من بين ركبتيه ، ولجت نظرة تائهة من خلال عينيه المدغمستين فى محاولة لرؤية فتوة ابنه الطافحة من لسانه .

انفعل الابن أكثر ، قال : « سوف أتزوج ولن يسعنا البيت » .. عاد الأب ثانية إلى ما بين ركبتيه ، تكور ، ولم ينطق ، اندفع الابن نحوه مصرخاً ، فشل أن يرفع رأس الأب وأن يستنطقه ، ولما شعر الابن بالرجفة الغريبة التى قبضت على أطرافه فور ملامسة الأب .. تساءل دون أن ينطق :

« الشتاء بارد هذا العام ؟ أكيد » !!

* * * *

بسرعــة

تعود السرعة منذ نشأته الأولى فى القرية .. يأكل بسرعة ، يشرب بسرعة ، يتكلم بسرعة ، يتحرك بسرعة.

عندما أنهى دراسته ، وجد فى العمل خارج البلاد ربحه فى الفلوس أكثر ، استخرج جواز السفر بسرعة ، تزوج بسرعة ، عمل هناك وأنجب بسرعة .

عاد بعد سنوات عديدة ، ذهب إلى قريته ، أهلها لم يتعرفوا عليه وقد علت الشقوق سحنته والمشيب رأسه ، جلس بينهم يقص ويشدو برحلة كفاحه الطويلة السريعة .

ولما ذهبوا إليه من بعد ، لم يستقبلهم استقدموا له أطباء القاهرة الكبار ، أما وقد فشلوا ، قالوا :

« لم يتحمل المرض ، مات بسرعة !! »

* * * *

البــاب

ما أن تقهقرت سرعة الأوتوبيس عند مدخل الموقف العام حتى اندفعت الأجساد نحو الباب ، من بالداخل على أمل الخروج ، من بالخارج على أمل الدخول ، سيدة عجوز ريفية ، مغضونة الوجه والكفين ، ترتدى الحداد ، جهزت نفسها للنزول بالوقوف

أمام الباب وبالدعاء أن تهبط بسلام ، قبل أن تهم بهبوط الدرجة الأولى للسلم كان فى مواجهتها مندفعاً من الخارج ، شاب يلهث ، رمقته العجوز ، بنظرة معاتبة قالت :

« ما عندك صبر ؟ » ..

رد ببساطة وهو مازال يلهث دون أن ينظر إليها مندفعاً إلى الداخل ، سعيداً بنجاحه أن جلس على مقعدها .. الذى كان ... وقال : « لا » ..

* * * *

التذكـــرة

كل الأشياء مُعدة للرحيل ... حقيبة الملابس ، جواز السفر ، الأوراق الخاصة وتذكرة السفر .

جلس فى الشرفة يحلق فى اللاشىء ، بدأت أنفاسه تلهث ، نبضات قلبه يسمعها بوضوح ، عيناه تنظران ولا ترى ، ساقاه يهزهزهما بعصبية لم يعهدها .

لما انتهى من علبة سجائره .. فتح الحقيبة وأعاد ترتيب الملابس ، حفظ جواز السفر فى أحد الأدراج البعيدة ، كور كل الأوراق وصنع منها كرة كبيرة ، بدأ يدحرجها أعلى قدمه اليمنى ثم اليسرى .

هدءُ اللعب ، جلس ، لمح تذكرة السفر باقية أمامه .. بحلق فيها لفترة لم يحسبها ، ظل متأملاً كل سمات الغلافة الخضراء المشقوقة حتى كانت لحظة غابت عن رؤيته والتذكرة مازالت أمام عينيه .. مسح عينيه .. نام ..

* * * *

الرحيـــــل

انتفض .. لسعته بقايا سيجارة . تأمل جواز سفره ، تجرع فنجانين من القهوة .. تصفح الجريدة ، عليه بالرحيل حالاً إلى أرض غريبة ولم يعتاد الغربة ، فى كل مرة يعود فيها يقسم ألا يعيد الكرة ، ويكررها ، وشوق لحبيبة باق .

على أرض المطار القلق يشرنق الأشياء والناس والأرض ، الآخرون ينظرون إليه شزراً ، كلهم أمامه لا أكثر من عينين واسعتين ولسان مدلى وخط من اللعاب المدمم ينزلق من طرفه ، امتلأ المكان باللعاب .. المناضد الخشبية سبحت بجالسيها . طوفان بصاقهم مر .

« أنه الطوفان يغرقنا » . ركل المقعد بقدمه : لن أغرق ، لا أريد الموت فى بحر الكلمات . عندما أقرر الموت .. سوف أموت بطريقتى !! » .

جاء صوت آمر : « الطائرة حالاً سوف تقلع » .. فتح الحقيبة ، تأمل الدوائر البنفسجية على الصفحات ..

حمل أشياءه ، تركهم وهم يقولون كلمات بلا معنى .. قد يكون لها معنى لكنه لم يسمعهم !!

* * * *

الزوجـــة

طوله المتميز يكسبه الهيبة فتخشاه الناس ويتحاشونه ، لم يكن يوماً فى موقع الدفاع عن النفس فبدا طيب القلب ، يساعده ذلك الطول على ألا يتنفس من روائحهم الكريهة داخل الأتوبيس ، فرأسه دائماً أعلى ، إذا ما وقف فى طابور الجمعية الاستهلاكية يخفى من خلفه ويلفت نظر البائع عمن قبله فيبتاع بأسرع ممن معه وبأقل جهد ممكن .

تأكدت هذه الميزات ويفتخر بها . يقصها فيستمعون ويهزون رؤوسهم إعجاباً ... إلا زوجته ، تقول كلمة واحدة : « طيب !! » ..

ذات مرة همست إحدى زميلاته فى أذنه : « يالحظ زوجتك بك » .. انتبه على أمر كان غافله ، ظل طيلة فترة الغروب إلى ما بعد منتصف الليل يفكر : « لماذا تعاملنى زوجتى بهذا التجاهل

المتعمد ؟ .. « عندما ذهب إلى مرقده ، بحلق فى عينى الزوجة ـ شبه العارية المفتوحتين فى تحفز غامض لم يفهمه . انسحب كعادته إلى ما بين وسادتين وقد أدار لها ظهره ، همس إلى نفسه بسؤال الصبيحة : « تُرى لماذا تقول لى دوماً .. طيب ؟! » .

* * * *

الحليــــب

خبر أسرار البيطرة ومعاملة البهائم حتى تلك التى ترفس أثناء الحلب ، وتعود فى كل مرة يعود فيها إلى زوجته ، يقص على مسامعها انتصاراته ثم يضطجع أمراً بتجهيز كوب الشاى الثقيل .

اليوم جلس حزيناً بعد أن فشل فى حلب تلك البهيمة وقد رفسته ، بعد شردة حزينة اضطجع أمراً بكوب الشاى الثقيل .. لم ترد عليه ، ادعت انشغالها بتلك الدجاجة الشاردة .

نهض ، قبض على رأس البهيمة ، لوى رقبتها ، سحب السكين الحادة النصل ، مر بها على وريدى الرقبة .. ذبحها ، ثم تركها تفرفر ..

فوراً عاد إلى زوجته ، اضطجع ، أمر بكوب الشاى الثقيل ، هذه المرة ردت عليه قائلة : « تحبه سادة أم بالحليب ؟! » ....

* * * *

استغراق

قالت زوجتى قبل أن أضع الوسادة فوق رأسى « دبر رأسك ياأبو صيام ، المرتب خلص » .

قالتها ثم نامت . لم أجد تدبيراً ، حاولت النوم ، ما بين اليقظة والكرى انتبهت على شىء ما أيقظتها ، سألتها إن كانت تعرف مكان مسجد سيدى الغريب ، « إنه دعانى » .. هزت كتفيها ثم عاودت النوم .

سألت ، عرفت ، ذهبت . الازدحام يزداد كلما اقتربت من الساحة الضيقة أمام المسجد المتلألىء . أصبحت فى قلب الضجيج مشاركا وبن صناعة .. بالصياح إلى بائع العناب ، بارتياد كل شىء فى الساحة ، يضرب البندقية فى الدوائر السوداء

بدأت أميل برأسى مع إشارات الرجل المنتصب وسط الحلقة ، انتظمت ايماءاتى مع التواءات رقابهم . أخيراً عرفت ما ينطقونه ، نبست شفتاى ، وجدت نفسى داخل الحلقة أنبس وأومىء .

عدت إلى منزلى فى ساعة متأخرة من الليل ، قبل أن أضع الوسادة فوق رأسى ، قالت زوجتى : « دبرت رأسك » ، فضحكت .. حتى أصابتها الحيرة .

ليلتها نمت حتى الصباح ولم تنم زوجتى !!

سـرقـة

تركت عملى وأنا أظن أن شيئا ما قد حدث . بعد طول تفكير بأن لى الأمر ، ياللكارثة سرقت .

عدت إلى منزلى ولم أنبس ، سألتنى زوجتى فلم أجب ، اسرعت إلى حافظة النقود .. وجدتها ، إلى أوراقى فى الحقيبة .. وجدتها ، إلى ملابسى الداخلية لم تجدها .

ظنت أننى انخفضت بسبب الحر ، فارتمت فى أحضانى تعبث فى شعر صدرى ، لم أحرك ساكنا .

« ماذا دهاك » ؟!

قالتها وهى تغمز بجانب عينها اليمنى .

قلت : « سرقونى » .

ظنتنى أتفكه فضحكت . ولما طال غمزها ، ولمزها ، وعبثها ، وإجابتى الأخيرة ..

قالت : « أكيد .. حدث » .

اغتصاب

آه .. اندفع الريح فكشف عورة الأنثى الخجلى ، احتقنت وجنتاها ، أسرعت تعدو ، فشل العدو فى سترها .

بلى .. لم تفلح وقد جلست إلى الأرض ، ملابسها استوت بجوارها ، باتت عارية ، عجزت كفاها فى سترها .

أف .. امتزجت بالتراب المبلل ، بالطين ، ألصقت فخذيها ، لوت جذعها ، أشاحت برأسها ، تململت ، حاولت ، عجزت محاولتها فى سترها .

مازالت ..

شهقة عميقة ، زفيرة طويلة ، سمعتها من خلف الجدران .

هدأت الريح ، هوت .

نهضت الأنثى الخجلى الشاحبة .. حاولت العدو . كنت ألهث وأنا أعض عقلة سبابتى اليمنى ثم اليسرى !!

السـدم

الرجل الأول دفع الباب من خلفه بشدة حتى تهشم زجاجه بعد مشاجرة مع زوجته على المبلغ الضئيل الذى تركه لها هذا الصباح لتنفق منه .

الرجل الثانى مبكراً استبدل بكالون الباب آخر بعد أن أمضى

الليلة الفائتة فى شجار مع أناس لا يعرفهم ولأسباب لم يفهمها ، فقط وضعوا أمامه أموالا كثيرة لكى يتنازل عن شقته !

الرجل الأول والثانى متواجهان ، وهما يعبران بحر الشارع الطويل العريض . كتفاهما ارتطمتا ، رقبتاهما التوتا ، رأساهما انحرفا ، عيونهما احتقنت قذفت شرراً .. تلاكما ، تصارعا . بعد فترة ظلا ينظران إلى بعضهما دون ما حركة ، يلهثان فى صمت . الأرض تحتهما باتت بلا أتربة .. فقط بقعة دم كبيرة .. ولم يعرف المارة من أيهما أم كليهما ؟!

العتمـــة

يشكو من العتمة كلما دخل مكانا مغلقا .

يدخل منزله فلا يرى إلا أسنان زوجته البيضاء ويسمع لسانها يلوك كثيراً . يذهب الديوان لا يرى إلا أوراقاً بيضاء ، تبدو كأنها معلقة فى فراغ الحجرة ويشعر بالطنين من صوت زملائه . يقذفونه إلى داخل الجمعية الاستهلاكية لا يرى شيئاً ، ربما بياض شكائر الأرز البعيدة .. « طشاش » .

جلس إلى الطبيب الذى قال له :

« إننا نشعر بتلك الحالة عندما تضيق حدقة العين إذا ما انتقلنا من النور إلى الظلمة » .

فكر مليا فى الأمر ، اكتشف حلا .. أن يظل مغمض العينين ثم يدخل منزله ، عمله ، أو إلى الجمعية الاستهلاكية حتى لا يشعر بالعتمة .. لم ينجح أيضاً !!

الذبيحـــة

نتع الرجال وعلقوا الذبيحة من عرقوبيها فى السلاسل الحديدية المدلاة من عل . قدم الطبيب لفحصها بالسكين وبنظراته الخبيرة . اتضح له أنهم قشروها من الداخل ، بالفحص تأكد ظنه .

الأسرة صاحبة الذبيحة من حوله . الأم تبتسم بسمة شمعية ، وقد ضمت ولدها المحدق إلى شفتى الطبيب . الأب تكلم كثيراً وفى موضوعات شتى ، ضمن ما قاله :

« الدنيا ولعت » ، الجاموسة بألفى جنيه . السيدة تحسست موضع الأساور والعقد وقد تعلقت يدها حول رقبتها لفترة ادعى الطبيب الانهماك فى عمله .. أخيراً نطق :

« الذبيحة اعدام ، مصاب بسل عام » .

الطفل اندفع يعدو خارج العنبر ، صراخ السيدة ، نحيبها ، ولولاتها ، نوأحها غلب كل الأصوات . الرجل كف النطق ، فقط تعلق بالسلاسل الحديدية المدلاة من عل بكلتا ذراعيه فاغراً فاه !!

القنطـــرة

فى الصباح الباكر يلتقون معا من شتات الأرض . عاريى الرءوس ، واضعى المناديل المحلاوى ، لاصقى الطواقى الشبكية والصوفية والدبلان ، ومرتدى الحمامات المبرومة .

أغلبهم قابع تحت شىء ما على رأسه .. لا يسمى ولا يُوصف .

تجمعهم الفسحاية الواسعة أمام القنطرة ، يجلسون على الأحجار الكبيرة ، يرتكنون على جذوع الأشجار القليلة ، غالبيتهم يفترشون الأرض . سرعان ما يتشاركون ، يتصايحون ، كثيراً ما يتشاجرون ويتصارعون .

ما أن تقترب سيارة المقاول عند الطرف البعيد من القنطرة ، يندفعون نحوه ، ينظر مليا فى خلقتهم . يأمر أحدهم بإشارة من سبابته أن يحضر . الرجل يدفع من أمامه .. يرفس من خلفه ، يعدو .

ما أن يطمئن أنه عبر القنطرة وركب السيارة ، ينظر حواليه ، يعسعس بنظرة متأنية ، القنطرة والفسحاية هناك ، يلوى شفتيه ، يعود فينظر بعيداً جداً ، كأنه ما عرف شيئاً ولم ير ، ثم يطأطىء الرأس صامتا !!

الثلاجـــة

بعد حوارات عديدة فشل فى اقناع زوجته بعدم جدوى الثلاجة .. فاشتراها . يستيقظ قبل الفجر ، ينام بعد العشاء ، يذهب إلى الديوان سيراً على الأقدام ، يقضى ثمانى ساعات فى العمل .. المكلف به وفى معاونة زملائه ، لا يأكل خارج البيت ، يتناول طعامه على الأرض .. رافضا منضدة السفرة والمرحاض السلطانية « الأفرنجى » بعد العصر يستقبل ضيوفه .

اليوم شعر بأعراض نزلة برد شديدة .. سعال جاف وخشن ، من موقعه فى الشرفة حيث يقضى بقية يومه فوق الفوتيه المتهالك تابع حواراً بين ابنه وأحد الأصدقاء عن مباراة كرة القدم الفائتة وعن فيلم السهرة القادم .

سمع الضيف يسعل سعالا جافاً وخشناً ، ترك مقعده ، بثقة استفسر منه وبالثقة نفسها أمره بشرب النعناع الدافىء والشيح البابونى على الريق ، ثم حذره من شرب المياه الباردة من الثلاجة !!

عندما شعر بعدم مبالاة الشاب وتجاهله المتعمد ، أدار وجهه عائداً إلى الشرفة محاولا حبس سعاله حتى احتقنت أذناه .

التعلــق

تعلق الطفل الصغير باللعبة الكبيرة خلف زجاج الفترينة ، كما تعلق بكف أبيه . تعلق الأب بمشهد الذبابة الحبيسة ، الحائرة ، الخائرة القوى ، تتلاطم بين الأشياء العملاقة خلف الزجاج .

الطفل نزع كفه وأشار بكلتا يديه إلى اللعبة . الأب تحرر من قبضة الصغير ، ظل يضرب بأصابعه العشرة على الزجاج ، عله ينجح فى تحرير الذبابة .. أن يرشدها إلى ثغرة صغيرة تخرج منها .

بدأ الطفل فى الصراخ بينما تعلق الأب بكليته أكثر بمشهد الذبابة التى هى حبيسة .. مازالت !!!

الـرشـاش

يشتمنى فاسب أجداده .

يجمع بيننا الجيران ، يزعمون أن كلا منا مصران للآخر ، ومصارين البطن تتشاجر . ومع ذلك نعاود المشاجرة .

ولما جمع بين شقتينا شق غائر بالجدار المشترك بين شفتينا ، دخلت شقته ، وجلست ، ومع ذلك اصر على شرب الشاى ونحن نتدارس .. ماذا علينا أن نفعل ؟

فى دهاليز الليلة نفسها ، سمع كل منا صوت رشاش حمام شقة جاره .

مع نداء أذان الفجر ، جمع بيننا الطريق الضيق الموصل للمسجد الصغير .

للمرة الأولى نصلى الفجر جماعة !!

فابتسمت له ، وانفرجت أساريره لى ، أعيننا ينطق ويقول : « حمام العافية » .

ألـــــوان

يعيش فى إحدى مدن الصعيد الرمادية .. منذ الصغر يقف عند الضفة الخضراء الغربية للنهر ، ويتأمل الضفة الصفراء الشرقية .

ذات مرة قالوا له ، إنها فى حاجة إلى الأمل الأبيض ، عبر النهر الفضى ، القى بحبات الذرة الذهبية والفول البنية . كبرت الحبوب وأثمرت .

عيون زرقاء متلصصة تابعته ، اكتشفت الخضرة ، ظلت خلفه حتى ضبطته واقفا وسط الأخضرار .. فقالوا له : « اخرج من الأرض » .

سألهم : « لماذا » ؟!

قالوا : « لأنها من أملاك الحكومة » !

ولأنه مواطن ملتزم ، نفذ الأوامر صاغراً .

فى صباح يوم بعيد تال خرج إلى شاطىء النهر ، أطل على

الضفة الشرقية ، تساءل : « الصفرة كست المكان ثانية ، أين الخضرة » ؟

الاتهـــام

تناثرت بقع الدم ، انقتض على وجوهنا وأكفنا العارية ، وبالرغم من الزحام تسربل الأحمرار على الأرض .

صرخنا فى بعضنا البعض : « منك » ، « هو أنت » ، « ربما ذاك » .

السنتنا تحركت بالنفى قبل أن نتحسس أوردتنا وقد تلاشت تحت جلودنا الصفراء .

لم نهدأ ولم نكف استفساراً حتى بات السؤال اتهاما ، علينا أن ننفيه عن أنفسنا بالقسم بالطلاق ثلاثة :

« ليس منى » !

الحكـــم

صدر الحكم .. الرجم ببصاق القوم اللزج ، الغروى ، الشفاف . تأملت جثته ، وجدته يسبح .. يقاوم .

سألتهم إن كان الرجل مظلوما .. قالوا : « أبداً » .

طال المشهد ، القوم من حوله يتأملونه ، ومازال الرجل

يحاول . نجح فى رفع رأسه أعلى اللزوجة والغراوة والشفافية .
لما فلح فى محاولته ، رفعوه فوق رؤوسهم مهللين .
مصمصت شفتى وحسب !

الأم

التفوا حوله على شكل الدائرة ، فقبض على صدره . التصقوا إلى بعضهم واكتفوا ، قبض على صدره أكثر وسقط على ركبتيه متوجعا . اقتربوا أكثر وتشابكوا ، ازداد فزعا وريبة . بأجسادهم صنعوا سياجا يصعب الفكاك منه إلا من حلقة ضيقة فوق سمائه يخترقها بصيص من الضوء والأمل . أهبل الحارة اختفى النهار بطوله على غير عادته ، سألوه : « أين كنت يابن زبيدة » ؟ رفض البوح . تشككوا فى أمره . منهم من سمعه يتمتم بكلمات غامضة إلى لحم صدره ، آخر شاهده يزيح الجلباب من على صدره ويبتسم ، فاحتاروا فى أمره . قالوا : « سرق سرقة يخفيها » ، بل فى الأمر سر يضمره » وأعلنها شيخ الحارة : « منذ متى لابن زبيدة سر ، لن نتركه » . شعر بالاختناق والشلل ، أشار أنه كان فى المولد هذا الصباح .. لم يفهموا ولم يسر بأكثر .. نجحوا فى تمزيق جلبابه ، نجح هو فى اخفاء بعض من لحم صدره . تكاثروا على عضديه .. انكشف

الأمر ، وجدوه كتب : « زبيدة » بالوشم الأخضر على صدره هذا الصباح .

النبـــوءة

قال المنجم نبوءته ومضى : « إن أسوا ما يمكن أن يحدث لم يحدث بعد » .

ظللت لسنوات طويلة أسأله . عندما فقدت عزيزاً لدى . قال أبداً ليس هو . هلكت أموالى فى مغامرة ذكية . أكد .. مكرراً رأيه .

أماد الزمن أيامه ، خرجت إلى الناس أسألهم : « ياأهل الله ، إن أسوأ ما يمكن أن يحدث لم يحدث » . لم أكف حتى انفرجوا من حولى ، ابتعدوا عنى ، غابوا عن نظرى ، تلاشوا من شوارع مدينتى المتسعة ، الطويلة ، الثعبانية الملمح .. فقلت :

« إذن تحققت النبوءة » .

النشـــوى

وتنتابنى النشوى نادراً ، فأخشى التعبير عنها ، لعلها تخفى كربه !

قررت متحدياً أن أعيش نشوتى هذه المرة .

خرجت إلى السوق لأبتاع مأكلا أشتهيه ، سرقنى البائع ، بهدوء المنتشى حاولت أن اوضح له الأمر ، بنظرات غامضة سحب منى ما اشتهيت ، رماه بعيداً ، ثم اندار إلى غيرى .

عدلت فكرتى ، أن أعيش نشوتى بالسير على شاطىء النهر . أحدهم التصق بظلى ، افتعل مشاجرة معى . لما كنت منتبها له ، صرخت فى وجهه .. ضربته .. ونجحت . حاولت الفرار قبل أن ينال من رقبتى ، سقطت فى حفرة عميقة ، حفروها بلا ضرورة .. لعلها من أجلى .

عدلت فكرتى ، كففت المحاولة ..والانتشاء !!

ســاعدونــى

ما حدث جعلنى اسعى إلى رحم أمى ، برغبتنا نجحنا . ظلمات ثلاث تحتوينى ، دم من سرتى يمر بكبدى ، بات لسانى عضواً عاجزاً .. سعدت فى أول الأمر .

أهلى لم يحاربوا أمى ، إلى ما فوق بطنها المنتفخ يرمون حواسهم .. يسألون ، أجيب :

« فى الظلام ياسادة ترى كل الأشياء سواء » ، تذكرت أياما خلت ، أثقال تنوء عن حملها منكباى .. حد السيف لامع ، عيون الحارس ، رأس الحية ، حروف الطباعة السوداء ، غربة

الصحراء ، الحرباء ، أشواك التين.. ثمرة التين دائما حلوة ، وأشواق الحب .

بدأت أسرى عن نفسى ، أمارس لعبة الرسم فى الهواء ، اعتمدت على شىء رهيب .. الخيال . عيسى بن مريم بغير أب ، الرب ترك فى رحم البتول كلمة باسم ، أنا الآن بلا اسم وبلا رسم ، تساءلت :

« إلى متى سأظل هكذا .. وكيف » ؟! مللت حالى !

بات السؤال : « كيف سيكون المخاض » ؟ أمى شكت حالها لسيدات القرية .. لا جواب . سألونى الحيلة . أقول ويسجلون : « أنا لم أكن نطفة فمضغة فعلقة فعظاما مكسوة .. أنا حمل غير عادى . لذا سيكون ميلادى غير عادى ، فقط عندما يحين الحين .. ساعدونى » .

« حكـــايـــات »

١ ـ حكايات بسيطة جدا

الحكاية الأولى

بالرغم من أن كل فرد من أفراد الأسرة فرغ من مهمته وأتمها بنجاح ، إلا أن الدهشة أصابتهم جميعا من أثر تعقيب « سهام » العروس المنتظرة .

فقد استقبل الأب ذلك الشاب الوسيم السمهرى الأنيق وحاوره فى شتى شئون الحياة . لم يخل الأمر من تعليق ضاحك وهزر خفيف . أما الأم فلم تترك شيئاً للمصادفة . أعدت كل ما يجب عمله بدءا بنظافة المنزل وانتهاء بطريقه ومكان جلوس كل أفراد الأسرة حول القادم لأول مرة ، ولقن الأخ الأصغر بما يجب عليه أن يتبعه وهو ما جعله ليس أكثر من فم منفرج للابتسام وحسب !

مع ذلك كان تقييم الأم له أنه أساء الأدب بتدخله فى الحديث أحياناً دون إذن مسبق .

بقيت « سهام » نفسها ، فقد أمضت الأسبوع الفائت تفكر فيما يجب أن تفعله .

استعانت ببعض التجارب التى تعرضت فيها صديقاتها قبلها

لهذا الموقف . كانت دائما تقول : « أنا قادرة على اتخاذ قرارى فور الدقائق الأولى من اللقاء » .

سرعان ما سخن الحوار واحتدمت المناقشة مع الأم ، فور أن حذرتها إلا من عادة الجلوس بوضع ساق على ساق أمام الرجل الغريب القادم ، اعترضت سهام وثارت : « هذه هى حريتى الشخصية ، يجب أن يرانى كما أنا » ولما تدخل الأب ، أراد أن يلطف من حمية المناقشة ، وحاول أن يفهم ابنته أن التعليم والثقافة والتجربة ، كلها لا تؤثر على الفرد إلا بالقدر الذى توافق عليه جماعة الناس ، وإلا اتهم بما ليس فيه !!

فلما قالت له سهام ، إنه شخصيا يجلس تلك الجلسة وفى حضور أى شخص ، ابتسم صامتا !

وانقضت ساعتان بعد خروج العريس ، إلا أن المناقشة مازالت .. أول ما نطقت به سهام ، أن قالت :
« وجلست حسبما أردت » .

لكن يبدو أن انشغالها بطريقة الجلوس تلك جعلتها لم تنتبه لأشياء عديدة ذكرتها الأم فى وصف العريس ولم ينتبه لها الابنة كأن وصفته بأنه رجل « أسبور » لأنه حرص على تقديم فنجان الشاى لها ولأبيها قبل أن يتناول فنجانه ! وأكدت الأم أن له

لزمة لا تبرحه بحك مقدمة أنفه قبل أن يبدأ حديثه ، كما أنه يملك روحا مرحة .

فجأة انفجرت سهام تبكى ، احتوتها أمها بين ذراعيها تسألها عما بها ؟!

فاسقطت سهام ساقها اليسرى عن اليمنى وقالت :

« يبدو أننى كنت مشغولة فى شيء ما ، أريد لقاء آخر » !!

كسى الوجوم وجوه الجميع ، ولم يعلق أحد .

الحكاية الثانية

ما بين الانتباه والغفوة انتبهت سميرة إلى زوجها النائم فى هدوء واستسلام لأحلام سعيدة .. جداً !!

قطبت ما بين حاجبيها ، وهى تبحلق فى وجه زوجها المبتسم ، وقد بدأ الرجل يعيد الصوت الذى انتبهت عليه .. أنه يصيح ، يقول : « ياسعاد » لم يتضح لها ماذا نطق من بعد ، لم تجد تفسيراً لهذا الاسم بالذات ... « سعاد » !!

« من هى سعاد تلك ؟ ماذا دار بينهما فى الحلم ؟؟

لماذا لم يناد على أنا .. أنا اسمى سميرة » ؟!!

لم تجد إجابة شافية ، لا تدرى ماذا عليها أن تفعل ، لكنها تأكدت أن زوجها ظل منفرج الشفتين ضحوك الثغر حتى بعد أن إضاءة الغرفة لم ينزع عن وجهه تلك البسمة التى التصقت بوجهه !!

اندفعت لكزته فى كتفه القريبة ، زعقت باسمه ، أخيراً انتبه لها بعينين مدغمستين ، باضطراب سألها عما حدث وماذا جرى ؟!!

فسألته السؤال المحدد الذى يوجز لها كل الموضوع ، خصوصا أنها تعلم أن الإنسان لا يستطيع الكذب فور استيقاظه من النوم !!

سألته :

« من هى سعاد تلك » ؟

لفترة بدا الرجل وكأنه يبحث عن أية « سعاد » يعرفها ، فقال حائراً :

« أمى اسمها سعاد ....

ابنتن الوحيدة باسم أمى » !!

يبدو أنه استعاد قوى اليقظة ، انتبه لزوجته ، بحلق ملياً فى عينيها بنظرات شرسة ، وقد ارتسمت التكشيرة على سحنته :

« هل توقظيني من النوم لتسأليني عن أية سعاد فى الدنيا » ؟!

فقصت على مسامعه بتفاصيل ما سمعته منه وما رأته على وجهه من البشر والابتسام ، وأنها ضبطته متلبسا مع سعاد تلك !!

وإن فهم الزوج تفاصيل الموضوع ، لم يجد ما يفسر به ما كان وكيف يبرىء ذمته ؟! فسألها مستفسراً :

« هل تغارين عليَّ ؟ .. إذن فهى زوجتى الجديدة ؟!! »

من هول المفاجأة .. صمتت ، ارتخت مستسلمة للخبر وقد تعلقت ناظرة إلى سقف الحجرة ، عفوا سقطت دمعة كبيرة ، فاحتواها زوجها بين أحضانه ولم يتركها حتى اطمأنت أنها الزوجة الوحيدة !!

الحكاية الثالثة

لم يكن يبدو أن ذاك الصباح غريب عن غيره ، هاهى تستعد للمشاغل الصباحية المعتادة ، قبل أن تذهب إلى عملها الشاق حتى الثالثة بعد الظهر ، وإن زاد عن غيره .. عليها أن تجد حلا لمشكلة ملابس الشتاء وتدبر رأسها فيما أدخرته ليكفى كل أفراد الأسرة .

قال زوجها وهو يحتسى فنجان الشاى إنه ميعاد عيد زواجهما العاشر .

ابتسمت خجلة وهى تعد شطائر أولادهما قبل الذهاب إلى المدرسة فتابع :

« اليوم سوف نتناول العشاء فى المطعم الذى كنا نذهب إليه أيام الخطوبة » .

سعدت عزة ، وافقته وهى تومىء برأسها .

تعمدا أن يجلسا إلى ذات المائدة التى كانا يجلسان إليها. بقى الصمت ثالثهما بالرغم من محاولات الزوج أن يلفت انتباهها إلى شردتها الطويلة . فسألها أن تتحدث معه وتترك تلك النافذة التى تعلقت بها منذ حضورهما ، ردت قائلة :

« افتح موضوع وأنا أتكلم » !!

فقال وهو يتأمل شعرها :

« لماذا لم تصففى شعرك بتلك التسريحة التى رأيتك بها أول مرة » ؟

« ببساطة لأننى قصرت شعرى « الأجرسون » حتى لا يشغلنى فى الصباح » !

وأن لم تبد عليه علامات الاقتناع ، اعتبره رداً حقيقياً .

عادا إلى صمتهما ، وانشغالهما بالنافذة ، حتى فوجىء بها تقول :

« لم أكن أعلم أن مكان هذا المطعم جميل إلى هذا الحد »؟!

فرد عليها وهو مازال يتابع دهشتها وشردتها قائلاً :

« ببساطة لأنك أيام الخطوبة لم تشغلك النافذة ولا المنظر الخلاب خلفها » .

لم ترد ، أعاد إجابته وهو يؤكد على مخارج الحروف حرفا حرفاً ، وهو يرميها بنظرات ثاقبة لعله يبحث عن شيء ما لم تنطق به ، وهو مازال في انتظاره !!!

٢ ـ الزوجات لا يعرفن الغيرة

الحكاية الأولى

لا أحد يدرى إذا كان الشيخ قدرى فى كامل لياقته ويقظته لحظة أن نطق بتلك الكلمة أم لا ؟

يحظى الشيخ قدرى بهدوء عفى وسجية طيبة .. مع ذلك اتضح للجميع أنه كان غافلا عما سيترتب من آثار لتلك الكلمة الوحيدة التى نطقها وهو لا يدرى جريرة ما صنع ونطق به لسانه .. لقد قال فى دعة واثقة : « نعم » ! هاجت الدنيا من حوله ، واتته زعابيب « أمشير » فى عز «كياك» . نطقت زوجته ولم تصمت ، وقفت ولم تجلس . لم يسعه استكمال بلع جرعة واحدة من رشفة الشاى فى عصرية هذا اليوم الجميل ، وقد جلسا يتسامران فى سعادة غامرة .

لم يكن مخيراً . اندفعت نحوه . جذبت كوب الشاى حتى لا يشغل شفتيه إلا بتبرير ما قاله بالضبط .

يسعى جاداً ليريح بالها ويطمئنها ، فهو يحبها وأن لم ينطق كلمة « أحبك » بحروفها . لا يترك فرصة إلا ينتهزها للتعبير عن حبه لها فى حضور أولاده الصغار أو حتى الغرباء الذين

لا يعرفونها جيداً ، يذكرها منسوبة إلى البكرى « جمال » .. يقول :

« أم جمال كاملة وعاقلة وست بيت » .

يظن أنه ليس من اللائق أن يدعها على حيرتها وثورتها تلك ، فقال مبرراً موافقته على سؤالها .. سبب النكبة ، بقوله :

« صدقينى ياأم جمال ، فى الحقيقة أنا مشكلتى الأولاد .

ماذا سأفعل معهم .. هل عندك حلا آخر » ؟!

فلم تصمت أم جمال من هول المفاجأة .. زاد هياجها وهو ما أدهش الزوج أكثر كما دهش كل الجيران الذين تجمعوا حولهما .

انها المرة الأولى التى يسمع للزوجة صوتا ؟ معروف الشيخ بينهم بالهدوء والسكينة وهى نفسها الصفات التى نطقت به سحنته وإن زادت عليها ملامح الدهشة .

سأله أحدهم عن أصل الحكاية ، ماذا حدث بالضبط ؟ قال الشيخ بهدوء :

« كنا نشرب الشاى فى أمانة الله ، سألتنى إن كنت سأتزوج بعدها إن ماتت الآن أم لا ؟ فقلت : نعم » !!

فانتابت الجميع نوبة من هيستيريا الضحك وأفرطوا ، إلا أم جمال التى أصرت على سماع تفسيراً مقنعا غير الذى نطق به !!

الحكاية الثانية

تبعث من عينيها نظرات نارية وهى تتابعه فى ذلك اليوم البارد وهو يحسن هندامه ويهذب وضع « اللاسة » حول رقبته ، ثم يمشط شعره الأكرت بالفرشاة البلاستيك ويضع بعضا من العطر الزيتى لرائحة الفل فوق خديه . خيل إليها أن الخروج فى زلفة الشارع الآن ومع بقايا الأمطار لابد وأن يكون لأمر هام .. أهم كثيراً من البقاء معها فى حجرتهما الصغيرة .

انتهى من رفع الأتربة عن مركوبه ، فتح شيش النافذة ثم ضرب فردتى المركوب فى بعضهما لإزاحة ما علق بها من أوساخ .. فاندفعت ريح عشيمة من الخارج جعلت الزوجة توقن بسوء نية زوجها !

مع أول انفلاتة من قبضة نظراتها التى ما برحت تترك النافذة حتى اختفى الزوج تماماً ، اسرع بإخراج علبة سجائره ليشعل واحدة ، ويسأل رأسه : « إلى أين سأذهب » ؟

اعتادت الزوجة الصغيرة أن تحسب عليه كلماته وخطواته وكل ما يظن أنه أمر عتاد .. كان يرتدى جلبابا نظيفا فى المساء ويخرج لقضاء بعض الوقت بالمقهى أو مع أصدقائه . كل مرة تسأله أسئلة عديدة ولا يجد ما يعقب به سوى الابتسام . فيزداد غل الهواجس داخلها ، تختم كلماتها المنفعلة بقولها :

« أنا لا أغير عليك .. أنا كنت أجمل بنت فى الحارة » .

يجبر خاطرها مؤيدا ثم يخرج ، يتركها وحدها تأكل نفسها وتحاور رأسها معاتبة :

« كيف تعلقت به ؟ ولماذا أتعلق به أكثر منه » ؟

عندما يعود يجدها هادئة فوق الكنبة البلدية وقد تعلقت بالنافذة حتى عاد . تستقبله مؤكدة عما فى رأسها وقد نساه ، تقول مؤكدة :

« أنا لا أغار عليك .. أنا عارفة نفسى » !

يبتسم وهو يزيح المركوب متهتها : « وأنا أيضاً » .

فى الصباح التالى استيقظا فى الفجر كعادتهما . فتحا كشك الخبز . سرعان ما هل الناس من الحارة والحوارى المجاورة ودبت الحياة باكرة فيتزاحم النسوة والرجال معا على نافذة الكشك الضيقة . مع اندفاعات الناس من الخلف حتى بدت كموج البحر لطمت البنت التى فى المقدمة الزوج ، فتعلقت يشعر الفتاة فى الخارج ومسحت بها تراب أرضية الحارة !

لم تترك فرصة للوجوه الذهلة أن تنتبه لتتصرف . بهدوء تركت شعر الفتاة لتعود بخطواتها الواثقة سريعة ، لتصيح من خلف النافذة : « الدور على من فيكم ؟ »

الحكاية الثالثة

سحبتها الجدة من يدها حتى كادت تنزعها من ذراع عريسها ، لتهمس في أذنيها قائلة :

« احرص على ألا يراك زوجك وأنت نائمة .. تنامين بعده في الليل وتستيقظين قبله في الصباح » .

دهشت العروس وأن لم تفهم تماما ماذا تعنى جدتها بالضبط ؟ فعاشت مع زوجها لسنين طويلة وهى تُنفذ الوصية بكل دقة وشاركت زوجها كل ما طرأ عليهما من تغيير إلا تلك العادة .

أشد ما لفت انتباهها خلال الفترة الأخيرة أنها ما عادت تسمع منه كلمات الترضية المناسبة إذا ما تشاجرا كما كان يفعل .

بمضى الأيام والسنين نسى أن بجواره زوجة .. فلعنت وصية جدتها لأنها السبب . لم يكن زوجها بدينا كما تراه الآن . تعمدت ذات ليلة أن تمازحه : « ألا تلاحظ أن الملابس القديمة ما عادت تناسبك » .. فهم الرجل ولم يبتسم ، لكنه تساءل : « لماذا تقل لى هذه الكلمات » ؟ واجهها بما دار برأسه ، ادعت عدم المبالاة .

مضت تذكره ثلاث مرات في اليوم أنه أصبح من ذوى الكروش والأبدان العريضة .. مع الأفطار والغداء والعشاء !

حاورها مرة بأنه عبر الأربعين من العمر وبعد هذه السن يزداد الرجل بدانة وكذلك النسوة .. ثم تابع : « وأنت منهن .. من يرى صورة زفافنا لا يعرفك » .

لم تعقب وأن لم تبرح المرآة حتى عاد من عمله فى الظهيرة لتستقبله مستفسرة : « هل ما عدت جميلة » ؟

أكد ضاحكا أنها ما عادت كما رآها أول مرة ، لذلك فهو بصدد مشروع زواج من فتاة صغيرة تعيد إليه شبابه . لم تبد اهتماما وأن انتظرت أن يفصح أكثر .. لم يفعل . انشغل فى صحيفة المساء التى اشتراها !

خابرت رأسها عن سر كل هذه المتغيرات التى استجدت على زوجها . هداها التفكير العميق الهادىء أن السبب هو نصيحة جدتها .. « لقد أعطيته إحساسا بأنه الهام الوحيد فى حياتى » !

فى تلك الليلة ارتمت فوق السرير قبله . رفضت أن تُعد له العشاء ، كما رفضت إنجاز الكثير مما اعتادت عليه كل ليلة وقبل النوم .. مثل اطفاء أنوار الشقة وقفل صمام غاز البوتاجاز وغيره الكثير .

عاتبها زوجها فى الصباح ، تشاجرت معه ، أفهمته أنه من الواجب أن يشاركوا كل صغيرة وكبيرة ، فقال إنه يجهل كل تلك

التفاصيل الصغيرة وحاول أن يهدىء من روعها ، وأن تحير فى أمرها وقد بدأت تتعمد النوم قبله !

سألها عن سر هذا التغير ، لم تجب ، اكتفت بكلمتين : « أنا حرة » استفزه الرد الذى لم يسمعه منها من قبل ، فضحك قائلاً :

« أما زوجتى المنتظرة الصغيرة فسوف تكون أكثر منك نشاطا » .

تمتمت وهى تعيد ترتيب الأشياء المرتبة أصلا داخل دولاب الملابس .

« ولو ، لا تحاول إثارتى . أنا لا أغار .. حتى لو تزوجت » !

فى تلك الليلة نام الزوج قبلها كما اعتادا خلال الفترة الأخيرة ، دون تعمد حاولت النوم ولم تفلح .. قهرتها الوساوس ، عاندتها الغفوة . إن تكرار الإعلان عن رغبته فى الزواج من صغيرة أمر لا يستهان به . فهذه ليست المرة الأولى التى يعلنها .. نهضت ، تأملته وهو فى نومه العميق غارق . خاطبت رأسها تطئنها : « ولكنها ستكون المرة الأخيرة .. والليلة » !

٣ ـ حكايات أخرى

الجبيـــرة

يشعر بالهوان من القيد الثقيل حول الركبة . لأنه لم يذهب إلى طبيب طيلة سنين عمره الستين ، ولا يعرف للطب ضرورة ! أعد العدة لفك الجبيرة القابضة على ركبته اليمنى .

دلو المياه دافئة ، سكين قديمة بلا مقبض يعلوها الصدأ . نظر إلى أدواته وركبته . ثم بدأ العملية السهلة . قال : « لن تستغرق أكثر من عشر دقائق .. حتى ولو قضيت الليل بطوله .. لا يهم » !

بدأ بالسكين . حك الجبس ، بدنه يقشعر ، بصيلات شعر جسده تنفر . تأملها ، منثورة على جسده النحيل ذى العروق الغبراء القاتمة الأشبه بالطرقات التعسة التى يقوم بتنظيفها « حسن فلة » عامل الزهرات . مر بيديه على جلده الخشن المحروق وكأنه يراه لأول مرة ، همس إلى نفسه : « ما كان كذلك . يوم زفافى نزلت الترعة وطلعت فل الفل ، كان لونه أبيض شاهقا » ؟

امتلأت الأرض وصفحة وجهه والشعيرات الكثيفة المدلاة من فتحتى منخاره .. بغبار أبيض . حاول النهوض والحركة داخل

غرفته الرطبة الضيقة . عجز عن التقاط السكين من الأرض .. حزن ما كانت تدعه يهم فى أمر حتى تكون نفذته ، زوجته عاشت معه وله ، عندما فقدها شعر وكأنه فقد كل أعضائه إلا خزينتى الدموع خلف العينين . تابع حسين تنفيذ فكرته ، كلما حاول أن يثنى جذعه أكثر .. يعجز ، فتمتم : « الصبر طيب ياحسين » .

بالمياه الدافئة يمر على الجبس الأبيض ، لعل القيد يلين وتتحرر الركبة . الحجرة بدت كحالها يوم الخبيز ، حتى آخر أيام الزوجة ، كانت تقول : « طول ما أنا عايشة ما يدخل بيتنا العيش الصناعى » يضحك ، فتبدو بشرته مع الذكرى لامعة بالرغم من صبغتها السمراء ، وقتامة الغرفة ، واختفاء ضوء القمر ، بثقة قال : « ولو ، أنا عمرى ما كنت المغلوب .. وهو المهم » !!

أخيرا انتهى من فك الجبيرة . زوجته تأمره أن يذهب فى عز الليل لشراء العسل الأسود : « لأجل ما تأكله بالعيش الساخن و .... بالهناء » .

فجأة .. انتفض واقفا ، مدفوعا بالفكرة .

توا ، سقط على عجزيه جالسا ، عاجزا عن الحركة .

أنه نزع الجبيرة ولم يلتئم الهشيم فى العظام بعد . إن لم يعد للعمل لن يجد قوت غده . حاول ثانية الوقوف ، نظر حواليه ..

بجانب عينيه رمق مشهد السكين القديمة التى بلا مقبض .. تلمع ، لم يعد يعلوها الصدأ !

أدار عينيه بعيداً . حاول الحركة ، شعر وكأن الجبيرة مازالت حول ركبته اليمنى .. حول ركبتيه !!

آكلـة النـار

الحركة الدءوبة النشطة يزداد نبضها المسرع كلما اقتربت لحظات فيها تنفلق السماء فالقين ، أحدهما بيضاء وأخرى سوداء . اقتربت سيدة نحيفة ، دميمة ، متشقق جلد قفاها وكعبى قدميها الحافيتين . تحمل طفلاً مقرور العينين فوق كتفها الأيسر ، وعصا غليظة تعلوها كرة صغيرة بين أصابع يدها اليمنى . دارت حول نفسها دورة ودورتين ثم صاحت بصوت مشروخ مبحوح باهت .. يدها مازالت لفوق معلق بها العصا الغليظة . يتابعها كظلها قطتان وكلب . جميعهم معاً يتحركون نحو الزبائن ! اقتربوا منى ونحو صديقى الحريص جداً .. فقال : « إياك يلمسنى هذا الكلب الملعون .. ينجسنى » .

ابتسمت شارداً ، تمتمت همسا :

« بل هو جائع وقطتاه ... وصاحبتهم » .

فشلنا فى فهم ما تنطق به حتى خرج علينا « عصفور » عامل

المطعم . وحده ينفذ ما تأمر به ويطيع . وضع الجاز على الكرة ، أشعل ناراً ، ثم نظر إلى الجلوس والوقوف من حوله وصاح :

« بص ، شوف . السحر ، العجب . نبلع النار .. والنار متحرقش مؤمن .. يامؤمن » الناس دهشة لمشهد النار فى الكرة ورأس الطفل النائم مازال فوق كتفها اليسرى . انتفض صديقى يركل الكلب بعصبية ، ما أن انتبه ثانية حتى أصر أن يصف لى خطوات السيدة خطوة خطوة : « أشعلت الشعلة ، تقربها من فمها ، تبتلعها ، تخرج ناراً ، تخرج دخاناً .. ياالهى » !

عينا السيدة لا تستقران ، زائغة النظرة .. شاردة ، مفتوحة الشفتين بحركة آلية تتابع ومن خلفها « عصفور » يكرر .. « بص شوف ، تشوف العجب » ويهلل لها ملتصقا بها ككلب مخلص .

ما أن تأكدت أن الكل شاهدها حتى القت بكرة النار ، أمسكت بطرف طرحتها السوداء المثقوبة ومرت على زبائن المطعم صامتة رائحة الجاز تنبعث من خلية فيها فشعرنا بالقشعريرة حتى اختفت إلى داخل المطعم ومن خلفها عصفور. رائحة اللحم المشوى بدأت تفوح من الداخل ومدفع الافطار مازلنا فى انتظاره .

الطـنيـن

استيقظ . منذ فترة مضت وهو يعانى من الطنين فى أذنيه . وقف أمام مرآة الحمام .. أصوات الجيران تأتيه من النافذة .. أحدهم يغنى ، ثان يتمخض ، ثالث يعلن صباح يومه ، ورابع يصيح على بواب العمارة .. و .. لم يعد بقادر على تحديد الأصوات المقذوفة إليه. انتهى من حلاقة ذقنه . ضمد جروحه . خرج . الطنين يملأ رأسه .

اشترى الجريدة ، سحب واحدة، تصفحها ، اكتشف أنها للعبة كرة القدم . قدماه تتبادلان الخطو فى غير انتظام نحو محطة المترو . من حوله ، الأطفال يتعاركون ، الباعة المتجولون يروجون لبضاعتهم المشكوك فيها ، النسوة يهرولن .. مساحيق وجوههن تذوب مختلطة بالعرق ، تتداخل ، تتلاشى تحت شمس أغسطس . السيارات تطلق منبهاتها . الطنين جعله يفقد السيطرة على موضع رأسة قائمة على رقبته .

كناس الشارع يدفع الأتربة نحو وجوه المارة ، ورقة جريدة ممزقة التصقت بساقيه ، انحنى ورفعها ، تأملها ، لاحظ صورته بها ورسم لفتاة جميلة ، تأكد له أنها صفحة الوفيات ، طيلة الفترة السابقة سمع تفسيرات سر اختفاء الفتاة مراراً حتى أصابه الطنين .

أزف ميعاد التوقيع على دفتر الحضور والانصراف ، لم يصل محطة المترو بعد وهو على بعد خطوات . قالوا : « اختفت فى ظروف غامضة » .. « أنها تجيد الزراعة ورقصة البمبوطية » .. « بل الصلاة ولعب الورق » !! لا حديث للمدينة سوى الكلام عنها ، ولأنه لا يعرفها لم يشعر برغبة حقيقية فى أن يشارك ، اتهموه بالأنانية وسبوا أباه !

حاول عبور الشارع ، تردد ، عاد وقرر ، نفذ . سمعهم يلعنون أجداده ويطلقون صفارتهم .. لم يعرهم اهتماما .

عندما وصل إلى باب المترو لاحظ صورته معلقة.. مطلوب القبض عليه ! إحداهن اقتربت منه، رمقها .. « إنها هى ، نعم . الفتاة الجميلة المفقودة » همس إليها أن تتبعه ليخبرها بأمر هام . الطنين جعله يشعر بالدوار ، جلس تحت المظلة ، اشعل سيجارة . استشعر مشكلة لم يجد لها حلا .. ذراعاه وكأنها ليست منه ، أين يضعها وكيف ! بعد لم تحضر الفتاة الجميلة ، إنه فى انتظارها . شعر وكأنه سقط فى هوة بلاقرار .. لم يصرخ ، لمح أمه فبكى لها ، قالت : « نينا نام .. نينا نام » ، أعطته البزازة ، سعد بها ، التقاها بشدة بين أسنانه . فجأة صرخ !!

التفت المارة ورواد المترو يطلون من النوافذ ، عيونهم تسأل : ابتسم لهم فى سذاجة .. وقال : « أبداً قضمت اصبعى السبابة » .

لا

خرج من حجرة المدير العام بظهره مع انحناءة واضحة وبسمة خجلة ووجه محتقن . سحب باب الغرفة برفق ، جلس إلى مكتبه ثم نزع نظارته الطبية ، أحاط وجهه بكفيه .. « ماذا بك » ؟ سألوه مع بسمة خبيثة كعادتهم كلما دخل وخرج من حجرة المدير العام !

للمرة الألف يرد :

« هذا ظلم ، لن أنفذ هذه المرة ، كل هذا لأننى لا أقول « لا » مثلكم .. سوف أقولها فى المرة القادمة ، لأتفه الأخطاء يتوعدنى بالعقاب وأنا الوحيد الذى ينهض بعمل الإدارة وحدى .. هذا ظلم .. سوف أقول « لا » ولن أنفذ أوامره ، بل سوف أحرر شكوى ضده » !!

أمسك بالقلم ، أعاد النظارة وطلب فنجانا من القهوة . أحد الزملاء همس إلى آخر .. « ترى ماذا سيفعل ؟! »

« دعنا ننتظر » .

لم تمض إلا دقائق قليلة حتى دخل أحدهم ممسكا بورقة طويلة ملأها السواد ، قال :

« أريد تقديم هذه الشكوى إلى المدير العام »

« ولماذا الشكوى ؟ »

« إنها ضد رئيسى فى العمل ، أنه يتعمد إهانتى وتحميلى أعباء العمل كله و .... »

ما أن نطق بها حتى نهض صاحبنا كالممسوس من الجن وعلى غير عادته فى حركته البطيئة الهادئة تاركا الورقة التى كانت بين يديه ، ونادراً ما يترك أوراقه حتى لا يرى ما بها الزملاء ... صرخ قائلاً :

« إن ظلم الرؤساء هذا لابد أن نضع له حداً .. سوف أدخل معك إلى المدير العام وأقدمها بنفسى » !

ولم ينقطع صراخه، نهره المدير .. لم يصمت ، صرخ فيه أن يكفّ عن قراءة الشكوى التى يعيدها للمرة العاشرة .. لم يفعل ، بالخارج ضحك الزملاء بملء أشداقهم المنفرجة ، ولما طال انتظارهم لخروج زميلهم الهائج اندفعوا إلى الحجرة حتى يخرجوه عنوة .

فشلوا ..

لا يدرون أية قوة تلك التى واتت زميلهم الواهن الخنوع.

خطفوا الورقة عنوة .. زميلهم حفظ الشكوى عن ظهر قلب .. !

ظل يرددها .. إلا أنه خرس مرة واحدة .

رسـالـة

يصطف المساجين فى صفوف منتظمة ، يتلقون التعليمات والأوامر ، ويستلمون خطابتهم . شوق السجين إلى الحرية يلعقه ، يمضغه ، يهضمه ، يتمثله ، يخرجه فى لهفة شوقاً إلى رسالة تأتيه . يقرأ الشاويش بصوته الأجش الأسماء وتتلقف الأيادى المرتعشة الخطابات ، يعودون إلى عنابرهم يناطحون بعضهم بعضا .. (أنا لى خطابان) .. (وأنا لى عشرة) !!

أما السجين رقم ١٩٨٠ ، وحده ، لم تصله رسائل منذ عدة أعوام . « صابر » شغلته الفكرة وأقلقت منامه ، حتى بات محط سخرية رفقائه ونديمهم . كل مساء يقص عليهم ما فعله مع هؤلاء الخونة ، له فى كل مساء حكاية ، يجلس القرفصاء ويقص وهم حوله يضحكون .. ما بين الحين والحين يردد جملته ، التى إذا ما قالها تنفرج الأفواه ويعلو الصياح (صدقونى خونة .. كلهم) ! اليوم وصلته رسالة ، اليوم كان ضمن من ارتعشت أياديهم ، اليوم ولأول مرة يناطحهم قائلاً : (أنا أرسلت لى خطابات كثيرة من قبل .. كلها لم تصل .. كلها) تابع (الراسل أكد لى ذلك ، وأنا أصدقه .. خسارة ، ألف خسارة .. كلها ضاعت فى الطريق) !

طلبوا منه أن يقرأ الرسالة بصوت عال .. طوح نظرات

متعالية ، قذف رقبته ، رمى رأسه يمينا وشمالا ، افتعل سعالا خشنا ، ثم حك أنفه .. الآن مهيأ لتلاوة خطابه ! الآخرون يتململون ، الصمت المشوب بالانتظار أحاط المكان بالهيبة والرهبة .

الرجل أخرج الخطاب ، تارة ينظر إليهم ، ومرة يتحسس خطابه ، كأنه يقبض على جوهرة ثمينة يخشى سقوطها إلى الأرض .

أحدهم نهض خلسة ، اقترب منه ، وقف خلفه « صابر » لم يشعر به بعد ، أخرج ورقة بل ورقتين ، أنهم ثلاث ورقات ، رفعها لأعلى ، ثم أخرج لسانه يرطب شفتيه .. قال : (هاهو الخطاب ياأولاد الملاعين) .

عاد وطوى الخطاب ثانية ، هاجوا فيه .. (ماذا حدث ؟!)

(المكان مظلم .. الصباح رباح) .. بصوت آمر قالوا : (بجوار النافذة أفضل) . تقدم بخطوات متأنية ، مد أصابعه الطويلة ، أمسك بالخطاب ، بدأ يقرأ . الآخر تدحرج خلفه ، اشرأب برأسه ، طالع الورقة الأولى والثانية والثالثة .. فجأة صاح .

(خداع ، غش ، كذب .. ياإخوان هل تعلمون ماذا رأيت الآن ؟! لقد رأيت خطه هو ، والمصيبة أنه نسى ووقع الخطاب

باسمه .. هذا الخطاب كتبه لنفسه .. المخادع ، الكذاب) .

ظل يهلل ويصيح ، استمر يضحك ويضحكون . ظل ينهض ويرقد من فرط الضحك ، بينما السجين رقم ١٩٨٠ ، ظل جامداً ، بارداً ، صامتا كلوح ثلج ، كلوح خشب ، كأى شىء .. أى شىء بلا حياة .

البنـــدول

بالرغم من إحالته على المعاش منذ ثلاث سنوات ، مازال يستيقظ مبكراً ، ويسير فى الطريق المؤدية إلى عمله السابق .

اليوم أخبره أحدهم بوصول عقل الكترونى ومكتبة كاملة لشىء ما يدعى « ميكروفيلم » .. ضحك ! تأكد له أنها ليست نكتة ، رفض دخول الأرشيف كعادته . قفزت فكرة إلى ذهنه .. لماذا لا يجرب طريقا أخرى ؟!

ظل يحك حرشفة أذنه وهو يدير الخبر ويحلله .. تمتم إلى نفسه : (يلغون نظامى ، يستغنون عن خبرة أربعين سنة .. عصارة فكرى وخلاصة خبرتى . يوم وضعتها فى مذكرة مطولة ، ما أن انتهى معالى وكيل الوزارة من دراستها حتى قرر فوراً صرف مكافأة مالية لى ثم أمرنى بتنفيذ ما جاء بها) .

(والآن يحضرون حديداً ونحاسا بدلا من أفكارى ونظامى .. إنها نهاية العالم .. معلوم نهاية العالم) .

أحدهم انتبه له ، كان صوت صاحبنا زاعقا وهو يحك خرشفة أذنه . فسألة مستفسراً :

(خيراً ، خيراً ياحاج) .

صاحبنا نظر إليه بعينين شاردتين ، فجأة صاح :

(لن أعاود المجيء إلى هنا ثانية .. أنهم لا يعرفون للأصول مصدراً ، لا لأصحاب الحق قدرهم .. لو كنت معهم الآن ما كانوا فعلوا حتى ولو كان على جثتى) .

السائرون التفوا من حوله . رتبهم على شكل نصف دائرة وبدأ يقص ما كان وما صار منذ أربعين سنة .. قال : (لن أنسى يوم أن رفعت مذكرتى والمرفق بها الدراسة الخاصة بتنظيم أرشيف الوزارة ، والتى ما أن انتهيت منها حتى كنت شربت مائة وستة وستين فنجانا من القهوة ، وأربعمائة وخمس سجائر ، وسهرت فيها ثلاثا وعشرين ليلة متواصلة .. حتى غضبت زوجتى منى ! أيامها نقص وزنى خمسة كيلوجرامات .

الشيخ أفاض وأطال حتى يانفضْ البعض من حوله مللا . من باب الفضول التفت آخر وآخرون . يزداد الريم الأبيض على جانبى قمة ، ولا يكف عن وصف أدق الدقائق فى نظامه الجهنمى حتى وجد نفسه يخاطب السحاب . أخيراً قرر العودة إلى منزله فوراً . وجد نفسه دون أن يدرى ولا يقرر أنه يسير على نفس

الطريق التى جاء فيها ويسير عليها كل يوم .

ما أن دخل شقته لطمه صوت ومشهد بندول الساعة الذى يدق ويتحرك فى رتابة بلا معنى أو هكذا كانت تعنى تلك النظرة الشزرة إلى البندول !!

لأنه لم يحاول !!

منذ قرابة السنتين استلما العمل فى نفس اليوم وبنفس القسم ، مكتباهما متجاوران ، عملهما مكملان لبعضهما البعض .. لا غنى لأى منهما عن الآخر .

تقول عنه وتقص .. قالت ضمن ما قالت : « أنه ليس بالشاب الوسيم، ليس فيه ما يبهر ولا أرى فيه هرقل ولا عنتره ، أراه كما هو ، الرافع الراس ، الشامخ الأنف .. الخجول ، ثقافته على لسانه ، حبه فى عينه ، قلة حيلته تنطق بها ملابسه المتواضعة » .

« ودوما اتقرب إليه بسؤال ، أى سؤال .. ويجيب ، إلا بالأمس ، لم يفعل » !!!

قلت : لقد تقدم لأبى طبيب ، يطلب الزواج منى ..

كان بالخارج منذ أكثر من خمس سنين ..

يملك سيارة واشترى الشقة ..

و .. وحيد أمه !

صمت .

بعد فترة تابعت ..

ما رأيك ؟

بانفعال ـ أراك تبتسم .. وتضحك أيضاً !!

ـ أحياناً تبدو لى غريب الأطوار ، غامضا .

أخيراً رد قائلاً :

ـ وهل يمكن لرأس أن يفكر فى أمرك وللسانى أن يجد الكلمات فى مثل هذا ... !!

ـ ماذا تعنى بكلمة هذا ؟!

ـ زواجك من طبيب ، شاب ، ثرى ، يملك سيارة وشقة .. ووحيد أمه ؟

ثم ضحك بصوت متقطع أشبه بنحيب مكتوم .

فقالت بتحد :

(سوف أقبله .. نعم سأفعل ، ليس لأنه كما قلت أنت ...

ولكن ....

لأنك .... لأنك لم تحاول) !!

لقـــاء

أوصدت على نفسى الباب ، وسهمت . حاصرنى جلدى الأسمر ، المحاط بشعرى الكثيف المتشابك . انكفأت على أحشائى ، اشتهيت من عشقت فى وريدى .

أعرفها تقرض الشعر ، صارحتنى فى آخر لقاء :

« ربما اجعل منك قصيدة » .

سارعت بالاتصال بها ، بعد أن رفعت القلم وجفت الصحف المطوية على محاولاتى اللوحة لكتابة ذات القصة : هيهات !

تقابلنا ، فضلنا افتراش الحديقة الفسيحة كل مساء ، أتأمل بريق عينيها وشفتيها المضمومتين . اكتفينا بالعبث فى حشائش الأرض من حولنا ، نجرد موقعنا من الخضرة . بهدوء وبلا اتفاق مسبق ننسحب إلى رقعة جديدة .

ما أن نلتقى أسألها وتسألنى :

« هل انتهيت من القصيدة » ؟!

« هل انتهيت من القصة » ؟!

ننطق السؤال معا وبالنفى تخرج الكلمات من بين شفاهنا الأربع فى صوت غامض ، كأننا ننطق بهواء الشهيق !

بسرعة نجلس ، نعاود العبث فى الحشائش ، ننزعها ،

ننسحب إلى رقعة جديدة نجردها ثم ننهض فى صمت ، ربما مع بسمة بلهاء إذا ما تأكدنا من اتساع الرقعة الجرداء .

باتت عادة .. يتكرر السؤال ، ثم نصمت منشغلين فى تجريد الأرض الخضراء من خضرتها بانقضاء الأمسيات . اكتشفنا لعبة جديدة ، نسرى بها على نفسينا ، أن نحسب زمن تجريدنا للرقعة من حولنا ، والزمن الكاف لتجريد الحديقة الفسيحة !!

ماعدت أتأمل عينيها المبرقتين ولا شفتيها الدهشتين المنفرجتين .

ولما مللتها وفعلتنا كل مساء ، عدت إلى حدودى التى أعرفها . أوصدت على نفسى الباب ، أتأمل شعرى الشائك فوق جلدى الأسمر .

ارتعاشـــــة

ارتعشت . شعرت بالبرودة بالرغم من دفء حرارة « برمودة » ، فألقيت بالصحيفة .

عندما أفرجتها عفواً ، انشقت على صفحة الحوادث . قرأت ملياً، دهشت . لم انتبه إلا وأنا اتمخض دموعا لم تسقط من مآقيها ، فملأت تجاويفى وأنفى ، وألقيت بالجريدة التى كورتها .

الصحيفة المعثرة أمامى ، أبرزت صفحة الرياضة .. صورة لأحدهم يضمدون جراح رأسه .. مسبول العينين ، مفرود الذراعين بجوار جسده المفرفر ، عاودتنى الدهشة ، أسرعت لأن أزيح المشهد .. فهذبت الصحيفة .

فضلت احتساء فنجانا من القهوة السادة كعادتى ، جلست اتجرع فى بطء مع أنفاس السيجارة التى صنعت دخانا على شكل المشابق حول رأسى . تسللت عيناى عفوا إلى مانشت الصفحة الأولى .. وصلتنى عن غير قصد كل الأنباء التى أعمد ألا أطالعها .. أعداد من القتلى بين جماعات فى بلاد بعيدة ، وأعداد أخرى فى أحياء قريبة من موقع قدماى الحافيتين ، وخزتنى ، تجددت الآلام الروماتيزمية حالا . حذرنى الطبيب من السير حافيا ومن بعض الأكلات ، لكنه لم يطمئنى بالشفاء ، وقالها فى وجهى :

« لاشفاء من الروماتيزم . بعض العقاقير مسكنات فقط » .

اقتنعت فالتهمت كل ما تشتهيه نفسى وعاودت السير حافيا مستمتعا بطراوة برودة بلاط أرضية شقتى وكأنى أتأكد من وجودها تحتى !

واتتنى رغبة أن أضع بعض الصفحات تحت قدمى ، فعلت . فانفضحت صفحة جديدة . كانت المفاجأة .. عنوان التحقيق

الصحفى يؤكد أن لقمة العيش أصبحت سلاحا ، لم أقرأ ، أسرعت باخفاء الصفحة إلى أخرى . قبل أن تدنو عينى منى تعلقت بتلك الشكوى القصيرة .. (نحن سكان العقار المذكور نستغيث) وبقية أسطر الشكوى أسماء ووظائف السكان .

تجدد المخاط المتسربل من أنفى حتى سقط على الصحيفة ، سعيت لأن أخفى كلمات الشكوى من أمامى .. فكانت الصفحة قبل الأخيرة .. لمحت الصورة التى غطت كل الصفحة ، أعلاها وبالجانب الأيسر شريط أسود مائل لكنها لم تميز بتعريف لصاحبها فزادت ارتعاشى ، وأحاسيس البرودة بالرغم من فزاد برمودة الكاذب !

الـــدفء

عندما دخلنا معاً ، حاولت أن أعفى عينى من آثار دفعى العصبى للباب الخشبى ، فالتقطت أذنى صوت ارتعاش الأطباق المتسخة والأكواب المقعرة بتفل الشاى الجاف أعلى السفرة ، ورجرجة النوافذ الزجاجية المفتوحة.. شعرت بلفحة برد شديدة .

سرعان ما أشاحت عنى ، استدارت ، انحنت ، احتضنت الأشياء المبعثرة . تبغى تهذيب مشهد الفوضى القابض على شقتنا. مللت حالتى ، رغبت فى الذهاب بعيداً ، متخلياً عنها وعن

نظارتى وعينى ، بعد فشلى فى التقاطها ، تعودت أن أعرفها من عينيها وقسمات وجهها .

صمتها ، انشغالها شيد اطلالا ، فاشتد الجفاء بيننا ، انهارت ملامح الصفاء من على وجهى ، لمحت ذلك فى مرآة الحمام . تعمدت أن أقضى به زمنا طويلاً ، لم يصلنى دفء المياه المندفعة من الرشاش .. ملأتنى القشعريرة أكثر !!

خرجت ، سألت زوجتى أن تجهز كوب الشاى التمام ، زامت وأومات ، حرت فى أمرها .. « هل مازالت غاضبة » ؟!

ارتميت فوق السرير ساعيا إلى جرعة دفء ، هيهات .. كأنى فى الخلاء أخيراً لامستنى عفوا وهى ترتمى بجوارى ، كانت تنظر إلى أشياء غامضة فى سماء الغرفة ! استكانت على جانبها البعيد عنى ، اختفت حتى شعر رأسها تحت الغطاء السميك .

غمت ، زمت ، تمتمت .. نطقتها :

« ليلة الزفاف كان شعرك ينساب فوق جبهتك فى رقة ، وعيناك نصف المغمضتين باسمتان ، والطلاء الكريزى على شفتيك . ليلتها أرهفت عينى تلتقط كل ايماءة منك حتى شرداتك الوديعة .. أما الآن .

فوجئت بها تقاطعنى ، جاءنى صوتها بعيداً من تحت اللحاف :

« ولو .. لن أصفح عنك » .

وددت لو أرى وجهها أو عينيها وهى تتكلم ، بحركة سريعة مباغتة سحبت الغطاء وبقوة ، جذبت رأسها عنوة ، تأملت وجهها ، نظرت مليا وقد أغمضت عيناها . كانت المفاجأة .. أنه الطلاء الكريزى على شفتيها ، تعرف أنه لونى المعشوق . لحظات وكل شىء فى انقلاب ، اندفعت عيناى وشفتاى تنهش فى الدفء الوليد .

صدر من هذه السلسلة

١ ـ مختارات من الشعر العامى .... شعـر
٢ ـ قصائد مصرية .... شعر
٣ ـ صوت البرية .... قصص
٤ ـ دراسات أدبية .... تأليف : حسين عيد
٥ ـ الزمن الحرام .... شعر : محمد الرنوبى شاهين
٦ ـ كتاب الأمكنة والتواريخ .... شعر : عبد العزيز موافى
٧ ـ أول الجنة أول الجحيم .... قصص : سعد الدين حسين
٨ ـ ضل من غوى وسر من رأى .... شعر : صلاح اللقانى
٩ ـ الزهرة الصخرية .... رواية : محمد الراوى
١٠ ـ سليمان الملك .... شعر : محمد سليمان
١١ ـ دائرة النور والظلام .... قصص : محمد علوان
١٢ ـ مكتوب على باب القصيدة .... أشعار : عماد غزالى
١٣ ـ صباح الحب الجميل .... قصص : رفقى بدوى
١٤ ـ انفلات .... قصص : مصطفى الأسمر
١٥ ـ فى ذاكرة الفعل الماضى .... شعر : محمد صالح الخولانى
١٦ ـ قطوفها وسيوفى .... شعر : سمير درويش
١٧ ـ أولاد المنصورة .... رواية : عبد الفتاح عبد الرحمن الجمل
١٨ ـ الحصار .... قصص : وفيق الفرماوى
١٩ ـ احتمالات .... شعر : مفرح كريم
٢٠ ـ ثلاث دقات للأجراس .... قصص : فتحى فضل
٢١ ـ طائر الشمس .... شعر : محمد مهران السيد

٢٢ ـ بكات الدم .... قصص : حجاج حسن
٢٣ ـ صلوات خاصة .... قصص : عبد المنعم الباز
٢٤ ـ مكابدات سيد المتعبين .... شعر : السماح عبد الله
٢٥ ـ الأمثال فى الكلام المضىء .... قصص : محسن يونس
٢٦ ـ زهرة اللوتس ترفض أن تهاجر .... شعر : محمد محمد الشهاوى
٢٧ ـ كتاب الوقت والعبارة .... شعر : محمد آدم
٢٨ ـ عودة السيد عدنان .... مسرحية شعرية : طه حسين سالم
٢٩ ـ المُرسى والأرض .... رواية : فريد محمد معوض
٣٠ ـ تقاسيم .... شعر : محمد كشيك
٣١ ـ حلم السكك البعيدة .... قصص : على عيد
٣٢ ـ أى حوائج معى .... شعر : حسن النجار
٣٣ ـ عملية تزوير .... قصص : رجب سعد السيد
٣٤ ـ قيس .... مسرحية شعرية د . أنس داود
٣٥ ـ طفلة بتحبى تحت سقف الروح .... شعر : طاهر البرنبالى
٣٦ ـ يهبط الحلم بصاحبه .... شعر : عبد المقصود عبد الكريم
٣٧ ـ إنها تومىء لى .... شعر : رفعت سلام
٣٨ ـ الهامشى والبحر .... رواية : أحمد عبد الله متولى
٣٩ ـ حكاية بهية .... قصص : محسن الخياط
٤٠ ـ العسكرى ٦٥٠٦٥ .... قصص : شحاتة عزيز
٤١ ـ من أروقة الغابة .... قصص : محمد عبد الله عيسى
٤٢ ـ اليمامة والنهر .... شعر : احمد الحوتى
٤٣ ـ عجايب يازمن .... شعر : إيمان بكرى
٤٤ ـ فى مدينة الوجوه القصدير .... شعر : جميل عبد الرحمن
٤٥ ـ بصمات منقوشة بالحنين .... شعر : عبد الدايم الشاذلى

٤٦ ـ قطرات من شلال النار .... شعر : فوزى خضر
٤٧ ـ اغنية بلا وطن .... شعر : يس الفيل
٤٨ ـ مفكرات شاب .... قصص : صبحى مراد متى
٤٩ ـ وردة الكيمياء الجميلة .... شعر : على منصور
٥٠ ـ الرؤيا والوطن .... شعر : صلاح ولى
٥١ ـ بعض الوقت لدهشة قصيرة .... شعر : وليد منير
٥٢ ـ من دفتر الصمت .... شعر : محمد عفيفى مطر
٥٣ ـ طفل الجبل الملتهب .... قصص : سناء محمد فرج
٥٤ ـ فاطمة .... شعر : عزت الطيرى
٥٥ ـ ١٦ ـ ١١ ـ ٨٢ .... قصص : جمال نجيب التلاوى
٥٦ ـ حرير الوحشة .... شعر احمد زرزور
٥٧ ـ كفك .... هدى جاد

من إصداراتنا القادمة « أول ومنتصف كل شهر »

- حجاج الباى	الريح والنخل والغراب	قصائد / ع
- محمد يوسف	العصافير / الجحيم	قصائد
- أحمد مرتضى عبده	إقبال العشب	قصائد
- فؤاد مرسى	تحورات البحر	قصص
- كمال مرسى	الدوامة	قصص
- فؤاد سليمان مغنم	حالات من العشق	قصائد
- مصطفى أبو النصر	قلب الوردة	قصص
- صابر عبد الدايم	العاشق والنهر	قصائد
- مصطفى نصر	شارع البير	رواية
- عبد الشافى داود	الرياح	قصائد
- إبراهيم رشوان	العصب الحائر	قصائد
- محمود نسيم	كتابة الظل	قصائد
- احمد ابو زيد	تأويل مرئية تجيء	قصائد
- وجيه عبد الهادى	فك الحزن	قصص
- محسن خضر	سأعود متأخراً هذا المساء	قصص
- محمد المندى	مخاوف صغيرة	قصص
- حسن نور	خور رحمة	قصص
- السيد زرد	امسك العصا	قصص
- بهى الدين عوض	رائحة التبغ	رواية
- هشام قاسم	النعم والزمن	قصص
- جمعة محمد جمعة	هى امرأة	قصص
- إبراهيم جاد الله	من أوراق موت البنفسج	قصص
- عاطف عواد	نعم حصل	قصص
- أحمد محمد حميدة	الفجر	رواية

المؤلف	العنوان	النوع
- محمد هاشم زقالى	رد الروح لطير جريح	قصائد / ع
- محمد عبد الهادى	الحكاية وما فيها	قصص
- حاتم رضوان	اللعب تحت المطر	قصص
- إدريس على	وقائع غرق سفينة	قصص
- إسماعيل بكر	المصباح	قصص
- محمد حافظ صالح	انشطار	قصص
- محمد سعد بيومى	الغائب والبركان	م / شعرية
- حسين البلتاجى	المتوحشون	قصص
- قاسم مسعد عليوة	غير المألوف	قصص
- ربيع الصبروت	ظل الصمت	قصص
- محمد بخيت الربيعى	مازالت عندى أغنية	قصائد
- السيد حافظ	مسافر بلا هوية	رواية
- محمد قطب	الضوء والظلام	رواية
- محمد فهمى سند	قد يضيع دمى بينكم	قصائد
- سعيد بكر	الشمس لا تدخل القبر	قصص
- مصطفى العايدى	الدخول إلى الجزر	قصائد
- نبيه الصعيدى	شارع المعقول	رواية
- بهاء الدين رمضان	كتاب النبؤات	قصائد
- علاء الدين رمضان	غابة الدندنة	قصائد
- صفاء البيلى	ما اكتشفته البنت الجميلة	قصائد
- محمد عيد إبراهيم	الصمد الأخير	قصائد
- عبد المنعم رمضان	لماذا تنام فى حديقتى	قصائد
- السيد إبراهيم	أرواح هائمة	رواية
- يهية طلب	العشق تميمة جنوبية	قصائد
- محمود عوض عبد العال	قارىء فى الشارع	رواية
- على محمدى على	موّال من الغناء الليلى	قصائد / ع
- محمد حسنى إبراهيم	مواسم من العطش والجوع	قصائد
- حمدى البطران	ضوضاء الذاكرة الخرساء	رواية
- عيد صالح	شتاء الأسئلة	قصائد
- محمد العثر	مسافـــــر	قصائد / ع

- علي شوك	إرتداء الأمكنة	قصص
- مصطفى بيومى	الصـــــورة	رواية
- سعيد بدر	الحب المتبادل	قصص
- شمس الدين موسى	حلم العجوز	قصص
- خالد السروجي	الخفافيش	رواية
- أمنية إبراهيم زيدان	صفعات يومية	رواية
- حسين القباحي	كلام في مستهل الوجع	قصائد
- شريف رزق	قبرة ملعومة	قصائد
- محمود قرني	قراءة في الجسد المرتد	قصائد
- محجوب موسى	كلمات واضحة	قصائد
- أحمد فضل شبلول	اسكندرية المهاجرة	قصائد
- ناجي عبد اللطيف	للعصافير أقوال أخرى	قصص
- محمد شاكر الملط	أشجار السنط الصغيرة	قصص
- طارق عبد الوهاب	عينان لوجه الصباح	قصائد
- عباس منصور	في المقهى طبعاً	قصائد
- حزين عمر	الميلاد غداً	قصائد
- جمال عطا أحمد	من ذاكرة البئر	قصص
- حسني السيد لبيب	الرقص على الطين	قصائد
- عبد الناصر عيسوى	قصائد للنار	قصائد
- أحمد عبد الحفيظ شحاتة	انكسارات الضوء	قصائد
- عمر الصاوى	حوارى القاهرة	قصائد
- أمين بكير	الأحلام والغربة	قصص
- عبد الستار سليم	من فن الواو	قصائد / ع
- لطفي المطاوع	صهيل	قصائد / ع
- سلامة عيسى	خارج الطقس	قصائد
- محمد مكيوى	نقوش على بوابة الحب	قصائد / ع
- نجوى السيد	ضفائر الشمس	قصائد / ع
- رضا الكاشف	الحصار في مربع الظل	قصائد
- محمد عطا	ظل العنقاء	قصص
- طه الدسوقي شحاتة	نداء الليل	قصص

- احمد حسن شبريه	الوسيم والعجوز	قصص
- إبراهيم البانى	قصائد	قصائد / ع
- محمود الحلوانى	طبره	قصائد / ع
- شحاتة العريان	——	قصائد / ع
- مسعود شومان	فتافيت	قصائد / ع
- سيد عبد الخالق	فيض الجوارح	قصص
- الكابتن غزالى	ديوان غزالى	قصائد / ع

ترتيب النشر يخضع لاعتبارات الأسبقية ، كما هو موضح بالقائمة ، مع مراعاة التناسب بين مختلف الأنواع الأدبية .

رقم الايداع	٩٤/٥١٦٣
رقم دولى	٩٧٧ - ٢٣٥ - ١٩٤ -

تطلب إصدارات الهيئة من مكتبات روز اليوسف

مطابع روز اليوسف الجديدة